جامعـــة زيان عاشور - الجلفـــــة -
كلية الآداب و اللغات و العلوم الإجتماعية و الإنسانية
قســـم العلـــوم الإنسانيـــة
تخصص : تاريـــــخ

البحرية الجزائرية و دورها في إنقاذ فرنسا عقب ثورة 1789 م

مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة ماستـر
تخصص : تاريخ حديث و معاصر

إعداد الطـالبـة :
- خضرة مريـــــزق .

إشراف الأستاذ :
- أ. مصطفى داودي .

السنة الجامعية : 2012م / 2013م

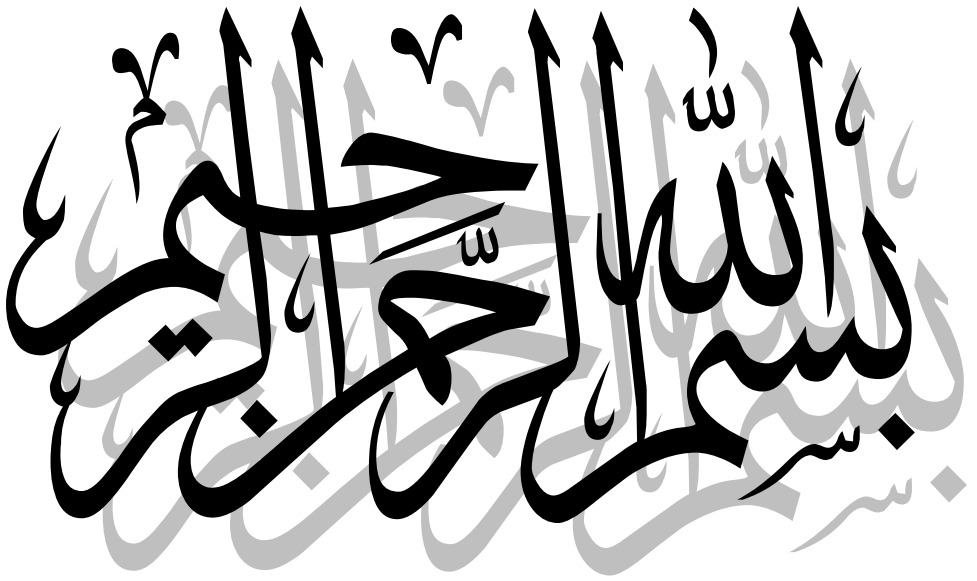
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

سورة النمل الآية : 19

الحمد لله الذي أمدنا في طول عمر وهدانا إلى ما فيه الخير حتى توصلنا لإنجاز هذا العمل، فأول شكر هو لله سبحانه و تعالى وهو الموفق الهادي إلى ما فيه خير

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل " **مصطفى داودي** " الذي تكرم بإشرافه على بحثي هذا ، ولم يبخل علي بمعلوماته القيمة وتوجيهاته الرشيدة

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذة قسم التاريخ كل باسمه ، والذين رافقونا طوال مدة خمس سنوات من الدراسة ، كما أشكرهم على جهودهم المضنية من اجل تنوير الأجيال بكل صدق وتوعيتها بقيمة هذا الوطن

كما لا شكر الزميلين " بلقاسم صديقي " و " إبراهيم حلباوي " على المساعدة التي قدماها لي أثناء انجازي لهذه المذكرة

كما أخص بالشكر عمال " المكتبة العامة بالولاية و عمال مكتبة متحف المجاهد

وعمال مكتبة نادي المعلمين " الذين قدموا لنا التسهيلات في إعارة الكتب و الاستفادة منها

أشكر كل هؤلاء الشكر الجزيل كما لا أنس الأخ " ع . عبيكشي " الذي كان له الفضل في كتابة هذا البحث و إخراجه على هذه الصورة

خضرة مريزق

إهـــداء

إلى الوالدين العزيزين حفظهما الله

و أطال الله في عمرهما و أمدهما بالصحة و العافية . . . .

إلى جميع أفراد أسرتي كل باسمه . . . . . .

إلى كتاكيت العائلة : عيدة ، زكريا ، سندس ، فضل الرحمان محمد ،

بشار ، نجم الدين إسماعيل ، علي الصغير . . . .

إلى زملائي في دفعة 2011 م / 2012 م

أهدي إليهم جميعا هذا العمل المتواضع

خضرة مريزق

المختصر	شرحـــــــــــــــــــــــــــــــــه
ط	طبعـــــــــــــة
د. ت	دون تاريخ
ط . خ	طبعـــــة خاصة
مج	مجلـــــــــــــد
ج	جـــــــــــــزء
ص	صفحـــــــــة
م	ميلادي
تر	ترجمـــــــــة
د . م	دون مكان نشر
تح	تحقيق
م . و . ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
ش. و . ن . ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
س . م . و . ب	سلسلة المشاريع الوطنية للبحث
د . م . ج	ديوان المطبوعات الجامعية
م	منشورات
م .م.م.ف.و	مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية
د.ط	بدون طبعة
Op.cit	مرجع سابق
Ibid	مرجع نفسه

مقدمة

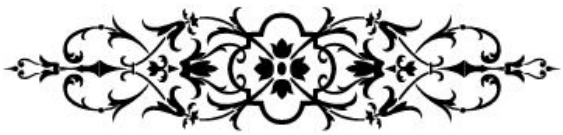

تمتعت الجزائر خلال العهد العثماني " 1518م-1830م " ولمدة ثلاثة قرون كاملة بمكانة دولية وهيبة عالمية علي حوض المتوسط ، يعود الفضل في ذالك إلي بحريتها ، التي يجمع المؤرخون الأوروبيون والأمريكان على أنها كانت منظمة أحسن تنظيم ، زيادة علي شجاعة أهلها .

و لم يقتصر دور البحرية الجزائرية علي المساهمة في النشاط الإقتصادى والسياسي وحماية الحدود الساحلية الجزائرية ، وضمان مصالح الدولية الجزائرية أثناء العهد العثماني ، بل تعداه إلي أدوار أخرى ، كان أبزها البعد الإنساني الخارجي ، وهو عهد تشح الدراسات التاريخية في التركيز عليه على خليفة انعدام وجود " أرشيف بحري " وطني يضم كل الأصول ذات الصلة بالنشاط البحري الجزائري .

و كان من أبرز تلك المحطات التي برزت فيها البحرية الجزائرية كقوة دولية تهتم بقضايا الشعوب المظلومة هو دورها في إنقاذ فرنسا عقب ثورة 1789م ، إذا بعد إلغاء الشعب الفرنسي النظام الملكي في أوت 1792 م ، وإعلان بدله النظام الجمهوري دخلت فرنسا في مرحلة تغيير جذري ، سواء علي المستوى الداخلي وعلي المستوى الخارجي ، خاصة في علاقتها مع أوربا باعتبار أن الدول الأوروبية لم تستسغ بدعة الحكم الجمهوري واعتبرته انقلابا لا يخدم المصالح الأوروبية ، الأمر الذي جعل الدول الأوروبية تفرض حصارا خانقا علي فرنسا فسادت المجاعة وجفت الخزينة من الأموال الأمر الذي جعلها تستنجد بالدولة الجزائرية ، من أجل إخراجها من هذه العزلة ، باعتبار أنه لا توجد قوة آنذاك تستطيع ان تكسر الحصار المضروب علي فرنسا سوى البحرية الجزائرية .

من هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع تحت عنوان :

« البحرية الجزائرية ودورها في إنقاذ فرنسا عقب ثورة 1789م »

و الفترة المقصودة بهذه الدراسة هي ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر باعتبارها الفترة التي تميزت ببزوغ نجم البحرية الجزائرية " خلال العهد العثماني " وهي كذا فترة التفوق البحري من ناحية.وفترة الانفصال عن الدولة العثمانية من ناحية أخرى، و بالتالي فرض الجزائر لسيطرتها وهيمنتها على حوض البحر الأبيض المتوسط .

و قد كان اختيارنا لهذا الموضوع نابع من رغبة حقيقية للبحث في هذا المجال ، وإبراز الجانب المضيء والدور الإيجابي في عمل وأداء البحرية الجزائرية إبان تلك الحقبة من تاريخها العريق ، هذه البحرية التي أنشأت أصلا تحت شعار الإنقاذ ، وبات البعد الإنساني النشاط الأبرز في حركة البحرية ، وكيف أنها ساعدت ومدت يد العون إلي الشعوب المظلومة التي استنجدت بها دون التفرقة بينها .

و تكمن أهمية الموضوع في كونه يدخل ضمن خانة المواضيع التي تشح الدراسات التاريخية في تناولتها خصوصا في إبراز البعد الإنقاذي لهذه البحرية ومحاولة الكثير تصويرها على أنها تنحصر في المعارك الحربية والصراع الاقتصادي ، وأعمال القرصنة والنهب فموضوعنا هذا يتناول دورا إنسانيا خارجيا مهما يتمثل في إنقاذها لشعب استنجد بها إثر ظروف ألمت به وإبراز قوة الجزائر كدولة مستقلة لها كيانها الخاص ، وحكومتها المستقلة التي تتخذ القرارات دون العودة إلى الباب العالي (السيادة الوطنية) ، ودراسة في هذا المجال يصب في النهاية في إثراء المكتبة بمثل هذه المواضيع العلمية المهمة .

و قد تمحورت إشكالية هذا الموضوع حول :

حقيقة البحرية الجزائرية ودورها في إنقاذ فرنسا عقب ثورة 1789م ؟

و قد أثار هذا الإشكال في مكامن نفسي العديد المسائل كان أبرزها :

- **واقع البحرية الجزائرية ودورها داخليا ودوليا ؟**
- **وما هي حقيقة الثورة الفرنسية ونتائجها كنموذج يبرز دور البحرية الجزائرية في تلك الفترة ؟**
- **و مدى دور تلك البحرية في إنقاذ فرنسا عقب ثورة 1789م ؟**

و يتضمن البحث :مقدمة و أربعة فصول وأخيرا خاتمة .

عالجنا في المقدمة الأسباب والأهداف التي جعلتنا نختار هذا الموضوع وما هي الأهمية من وراء كل ذلك ، ثم وضعنا دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا المذكرة .

فصل تمهيدي : يتناول أوضاع المغرب الأوسط من بداية ق 15 م إلى دخول العثمانيين ، كما يتحدث عن الاحتلال الاسباني للشواطئ الجزائرية ، ثم استنجاد الجزائر بالأخوين بربروسا "عروج وخير الدين " ، ثم تطرقت إلى إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية .

الفصل الأول : بعنوان" البحرية الجزائرية ودورها الداخلي ومكانتها الدولية" و يتبلور في نشأة البحرية من العهد الإسلامي إلى غاية العهد العثماني وأهم مكوناتها و دورها الداخلي المتمثل في عنصرين : الدور السياسي والاقتصادي بالنسبة لدولة الجزائر، بالإضافة إلى مكانتها الدولية حيث تطرقت إلى إنقاذ الأندلسيين الذين طلبوا النجدة من الأخوين بربروسا ، ونقلهم عبر الأسطول البحري الجزائري من الأندلس إلى شواطئ الدول المغاربية ، ثم المساهمة في حروب الدولة العثمانية بطلب من هذه الأخيرة ضد التحالفات الأوروبية التي كانت تقام ضدها ، والى فرض الإتاوات و الهدايا الإلزامية على الدول الأوروبية لحماية أساطيلها في حوض البحر المتوسط .

الفصل الثاني : فكان عن الثورة الفرنسية 1789م - 1793 م و نتائجها وتناولنا فيه الأوضاع العامة في فرنسا قبل قيام الثورة و مرحلة الثورة الفرنسية و أخير تطرقت إلي النتائج المترتبة عن الثورة في فرنسا .

الفصل الثالث : فكان بعنوان دور البحرية في فك الحصار المضروب علي فرنسا عقب ثورة 1789م تناولنا العلاقات الجزائرية الفرنسية ، واستنجاد فرنسا بالجزائر في عدة مناسبات بالإضافة إلى دور البحرية في مساعدة فرنسا عبر إمدادها بالقروض المالية ، والقمح والخيول والمواد الغذائية الضرورية لشعب جوعه الحصار المفروض عليه من طرف حلفائه وأصدقائه .

و ينتهي البحث **بخاتمة** تبز أهم نتائج البحث المتوصل إليها في هذه الدراسة.

و ينبغي الإشارة إلى أننا في معالجة هذا الموضوع اتبعنا منهجية متنوعة اتسمت بالجمع بين المنهج التاريخي والوصفي والإحصائي والاستقرائي حيث عبر المنهج التاريخي يبرز الطابع التاريخي لهذه الدراسة التي بيّنا فيها تسلسل وقائع الأحداث تاريخا خصوصا ونحن نتناول موضوع البحرية الجزائرية ونشاطها البحري وكذا وقائع الأحداث في فرنسا وتداعياتها على العلاقات الأوربية برمتها.

أما المنهج الوصفي التحليل الذي يهتم بذكر خصائص و مميزات الشيء الموصوف ، فهو طريق من طرق التحليل والتفسير للوصول إلى أغراض محددة تبرز في النهاية الطابع الحي للدراسة.

و نؤكد بأن هذه الدراسة ليست الأولى ولا الوحيدة التي تتطرق إلى هذا الموضوع إلاّ أنني من خلال اطلاعي على بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن تاريخ الجزائر في العصر الحديث لم أجد هذا الموضوع قد درس بالقدر الكافي خصوصا ما تعلق بالدور الفعال والمهم الذي لعبته البحرية الجزائرية في مساعدة فرنسا عقب الحصار الخانق الذي فرض عليها .

إذ ركزت المصادر التاريخية على دور البحرية في إنقاذ الأندلسيين المضطهدين اثر استيلاء النصارى على بلاد الأندلس واضطهاد الأندلسيين و طردهم منها .

بل وتعداه إلى دعم الثورات الداخلية التي نشبت في محاولة استرجاع الأندلس كما تناولت المصادر مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية ضد التكتلات والتحالفات الأوربية.

و في مقابل ذلك فإنني وجدت دراسة شاملة للمرحوم" مولود قاسم مولود نايت بلقاسم" في كتابه القيم " شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م" الصادر عن دار الأمة " الجزائر" في جزئه الثاني ، وكانت الدراسة ثرية لوجود وثائق و مراسلات ومعاهدات رسمية وموثقة بين حكومتي البلدين " الجزائر وفرنسا " وكانت المراسلات تبعث باسم المجلس التنفيذي للثورة أو حكومة الثورة في فرنسا إلى دايات الجزائر .في اعتراف صريح باستقلالية الجزائر عن الدولة العثمانية و اعتبارها دولة قوية بإمكانها المساعدة و الإنقاذ .

إضافة إلى ما كتبه المؤرخ الجزائري "جمال قنان" في كتابيه " العلاقات الفرنسية الجزائرية1790م-1830م " منشورات متحف المجاهد.وكتاب معاهدات الجزائر مع فرنسا منشورات وزارة المجاهدين ، حيث سلط الكاتب الضوء على العلاقات بين فرنسا والجزائر أواخر القرن 18م وبداية ق19م. وذكر الكاتب جميع المعاهدات والمرسلات التي عقدت بين البلدين سواء التجارية منها أو السلمية ، وذكر دور البحرية والمساعدات المقدمة من قبل الجزائر لحكومة الثورة في فرنسا ، بالإضافة إلى بعض المراجع التاريخية العامة التي أشارت للموضوع بإشارات مقتضبة لم تف بغرض البحث الأكاديمي المتكامل .

و في إنجاز هذه المذكرة واجهت بعض الصعوبات التي لا يكاد أي بحث أن يخلو منها ، وهذه الصعوبات تمثلت علي وجه الخصوص في نقص المادة العلمية المتعلقة بموضوعنا هذا " دور البحرية في إنقاذ فرنسا عقب الثورة الفرنسية " فالمصادر الأجنبية وخاصة الفرنسية منها تعتمد

الفكر الإقصائي حينما تريد أن تؤرخ للشرق الذي بات في نظر هذا الفكر لا يحمل معني الايجابيـــة وأنه لا يستطيع إن يعيش بدون الإرادة الغربية وهذا يصب في قالب تهميش وإضعاف الخصم وتجريده من ركائز القوة .

بالإضافة إلي إغفال المؤرخين العرب وخاصة منهم الجزائريين لهذا الدور الرائع للبحرية الجزائرية وإهماله في كتاباتهم التاريخية .

كذلك كوني أول مرة اكتب في مجال البحث التاريخي ، فقد حاولت إبراز قوة وكفاءة وإنسانية بحريتنا في العصر الحديث مما يفتح المجال أمام الطلبة والباحثين في التاريخ للبحث أكثر والاستزادة حول أدوار البحرية وأبعادها الإنسانية .

و يبرز الزمن من المصاعب الأولى في إعداد هذه المذكرة كون المدة الممنوحة لنا في إعداد هذه المذكرة لا تشجع في النهاية على اكتساب وقت كافي في جمع المصادر و المراجع ولا حتى في الطرح العميق في الدراسة.

و في الختام أتوجه بالشكر والعرفان لأستاذي المشرف الأستاذ : **مصطفى داودي** الذي لم يبخل علي بالنصائح والإرشاد و راعي البحث بتوجيهاته القيمة ، فكان حق نعم الأستاذ والموجه ، فكان له الفضل الكبير في إتمام هذا العمل .

تحليل لأهم المصادر و المراجع المعتمد عليها في البحث :

- **المصادر** :

1- مذكرات خير الدين بربروس : الصادر عن شركة الأصالة للنشر والتوزيع " الجزائر" ، و قد قام الدكتور محمد دراج بترجمته إلى العربية ، و قد ذكر المترجم أن المذاكرات ترجمت ألي عدة لغات ، مما شجعه علي ترجمتها إلى اللغة العربية كي يستطيع الطلبة و الباحثين في التاريخ من الاستفادة من مذكرات شخصية مهمة كشخصية خير الدين غيرت مجرى التاريخ في شمال إفريقيا وخاصة في الجزائر .

يأخذ علي المذكرات عدم احتوائها علي تواريخ الأحداث التي جدت مما يجعلها تغيب عنصرهم يخدم الباحث في التاريخ .

2- Belhmissi Moulay ,Marine et marins d'Alger 1518-1830 , Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996, Alger .

هي مذكرة دكتوراه للكاتب الجزائري مولاي بلحميسي 1930 م في ثلاثة أجزاء بعنوان البحارة والبحرية الجزائرية " 1518م- 1830م " ، الصادرة عن المكتبة الوطنية الجزائرية الجزائر

و هو باللغة الأجنبية " الفرنسية "، تطرق فيه الكاتب إلي نشأة البحرية الجزائرية و مكونات الأسطول وأسماء السفن وطائفة رياس البحر .

كما تحدث عن علاقات الجزائر مع الدول العربية ، ومع الدول الأوروبية ، وتحدث عن دور البحرية مع أوربا ومع الدولة العثمانية و تكمن الصعوبة في التعامل مع هذا الكاتب في كونه باللغة الفرنسية مما صعب الاستفادة منه أكثر.

3- De Grammont Henri .Histoire d’Alger Sous la Domination Turque "1515-1830 " . Paris 1887 .

هنري دوغرامون " ترأس الجمعية التاريخية الجزائرية التي كانت تصدر المجلة الإفريقية "

في كتاب " تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية 1515 م- 1830 م وهو كتاب ضخم تناول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بكل تفاصيله ،غير إن وجوده باللغة الفرنسية صعب من عملية استقرائه واستنتاج الحقائق التاريخية .

4- تاريخ الثورة الفرنسية " دوافعها الفكرية والطبقية والاقتصادية " ، للمؤرخ الفرنسي البيرسوبول الصادر عن منشورات عويدات لبنان وترجمة جورج كوسي .

لقد أفادني هذا الكتاب بشكل كبير في انجاز الفصل الثاني المتعلق بقيام الثورة الفرنسية 1789م حيث انه يتناول بكثير من التفصيل أسباب الثورة وقيامها والنتائج المترتبة عنها .

5- نايت بلقاسم مولود بلقاسم (1927م- 1992م) " شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م " في جزئيين الصادرين عن دار الأمة ، الجزائر تناول الكاتب في الجزء الأول التعريف بالبحرية الجزائرية وأدوارها وأنها السبب في قوة الجزائر آنذاك ، ثم تطرق إلى العلاقات الجزائرية الأوربية باستثناء فرنسا التي خصها بحيز كبير في الجزء الثاني من الكتاب نفسه .

لقد استفدت من هدا الكتاب في إنجاز الفصل الثالث بشكل كبير، كما استندت من المراسلات والمعاهدات التي احتواها الكتاب والتي حصل عليها الكاتب من الأرشيف الفرنسي ، وقد وظفتها في بحثي على شكل ملاحق .

بالإضافة إلى بعض المراجع المتخصصة في التاريخ الحديث ككتاب " ورقات جزائرية دراسات وأبحاث عن تاريخ في العهد العثماني " ، الصادر عن دار البصائر الجزائر– للكاتب " نصر الدين سعيدوني " .

و كتاب " العلاقات الفرنسية – الجزائرية 1790م- 1830م" ، منشورات متحف المجاهد، للكاتب " جمال قنان " سلط الضوء علي العلاقات بين البلدين ، وابرز كيف أن فرنسا كانت لطالما في حاجة دولة الجزائر ، إما بالاستقراض منها أو بطلبها عقد معاهدة سلم من أجل حماية أسطولها البحري .

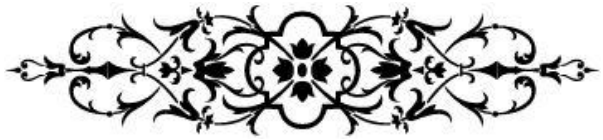

فصل تمهيدي

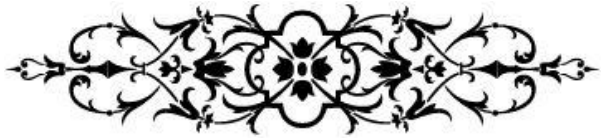

I) - أوضاع المغرب الأوسط أواخر القرن الخامس عشر إلى دخول العثمانيين :

إن ضعف دولة الموحدين وانقسامها جعل المغرب الإسلامي يدخل منذئذ مرحلة في غاية الخطورة تمثلت في المنازعات والتطاحنات الإقليمية والعائلية على حد سواء ، وتجسد التطاحن الإقليمي في رغبة كل دولة في السيطرة على المغرب الإسلامي بأكمله الشيء الذي أدى إلى اصطدام بعضها البعض .

لقد سعى بنو مرين إلى السيطرة على المغرب الكبير بيد أنهم اصطدموا بالحفصيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للموحدين ، وقد عانت بلاد المغرب الأوسط أي دولة وبني عبد الواد بحكم موقعها الوسطي كثيرا ، فكانت تارة تصطدم المرينيين وتارة أخر بالحفصيين مما جعل الحدود لا تعرف الاستقرار وتكون بين مد وجزر [(1)] .

و إذا أردنا أن نلخص الوضع السياسي العام ، فيمكن القول أن البلاد انقسمت إلى مجموعة من الإمارات و المشيخات والقبائل المستقلة فهناك مشيخة الجزائر التي تتصدرها قبيلة الثعالبة وإمارة " كوكو" التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى ، وأما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس، فقد كان للأمير عبد العزيز الحفصي ، ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على تلمسان و ضواحيها [(2)].

إن الانقسام والتفكك اللذان ميزا المغرب الأوسط كان عاما ، حيث عرفته الدولة المرينية كما عرفته الدولة الحفصية ، حيث وصفه " شارل أندري جوليان " : " لقد انقسمت هذه الدويلات في حروب طويلة مزمنة ، إذ خلال قرن كامل لم يبق لأمراء هذه العائلات المالكة من السلطة سوى اسمها وكان شغل الملوك الشاغل إحباط المؤامرات والفتن .

وأيضا لخص المؤرخ هذا الوضع المتردي بقوله : " إن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية " [(3)] .

إن هذه الأوضاع المتردية و الفوضى السياسية العارمة كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية ونلمس هذا بكل جلاء ، فيما كتبه " فرناندو دي زافرا " الذي كان كاتبا للبلاط الاسباني ومكلفا بحراسة شواطئ اسبانيا، وبمراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين إلى بلاد المغرب في أعقاب إجراءات الطرد : " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة إنهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة " [(4)] .

---

(1)- أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492م-1792م ، ش.و.ن.ت، ط2، 1976م،الجزائر، ص69 .
(2)- عائشة غطاس ، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها ، م. و.ب.ج.و.ث ، (د.ط) ، (د.ت) ، الجزائر، ص11 .
(3)- Julien André Charle, Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe à 1830,2 ème Edition Send, 1978, Alger , p250 .
(4)- عائشة غطاس ، مرجع نفسه ، ص13 .

يتضمن القول حقيقتين هما :

- **الأولى** : وصف مطابق للحقيقة ينم عن معرفة دقيقة بالوضع السياسي المتدهور يجعلنا نستنتج بدون عناء أن إسبانيا كانت تتابع عن كثب ما يجري ببلاد المغرب .

- **الثانية** : تحريض صريح للاستيلاء على بلاد المغرب .

- **الاحتلال الاسباني للشواطئ الجزائرية :**

من الأحداث البارزة التي عرفتها شبه جزيرة أيبيريا الوحدة السياسية ، لقد توحدت اسبانية المسيحية عام 1474 م بعد الزواج السياسي الذي تم بين فرديناند ملك أراغوانة وبين إيزابيلا وارثة عرش فشتالة عام 1469 م ، وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم في محاربة مسلمي الأندلس و إخراجهم عن آخر معقل وهو غرناطة 1492 م سنة حاسمة في تاريخ إسبانيا بوجه خاص إذ كانت يومها تعيش في غمرة النصرين العظيمين ، نصر على المسلمين بالأندلس ونصر اكتشاف أمريكا .

فكان من الطبيعي بعد انتهاء اسبانيا من السيطرة على بلاد الأندلس أن توجه أنظارها صوب منطقة بلاد المغرب الإسلامي التي تعيش تفككا، و به رأت إسبانيا أن نقل الحرب إلى بلاد المغرب أمر ضروري و استراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب ومحاولة السيطرة عليه حتى تدرأ عن نفسها أي خطر قد يأتيها من هذه البلاد ، فالإسبان لم ينسوا أن فتح الأندلس كان من المغرب كما أن ثمة حادث كانت له تداعياته على السياسة الاسبانية وهو ثورة جبا البشارات 1501 م التي جعلت الإسبان يدركون خطر الإسلام في بلاد المغرب ، فما إن قمعت هذه الثورة حتى كان الكاردينال خيمينيس قد اعد الحملة العسكرية ضد المرسى الكبير[1] .

لقد أخذت هذه الحروب صبغة دينية في هذه الفترة ، وهو يعتبر حقا امتداد للحروب الصليبية التي عرفتها منطقة المشرق العربي ، واستمر هذا الصراع ليشمل البحر المتوسط بصفتيه الشمالية والجنوبية ، وكانت المنطقة الشمالية تعيش في هذا الوقت نهضة اقتصادية واسعة تطور العلوم فظهرت احتياجات كبيرة و كثيرة منها :

(*)- **فرديناند و إيزابيلا** " Ferdinand et Jsabelle " : فرديناند (1452م-1516م) ملك أراغون تزوج عام 1447م بإزبيلا (1451م-1504م) ملكة قشتالة ، و بزواجهما توحدت مملكة أرغون و مملكة قشتالة في دولة واحدة قرية تمكنت من إسقاط آخر دولة إسلامية ببلاد الأندلس غرناطة 1492م ، المصدر أنظر : محمد سي يوسف ، أمير أمراء الجزائر علج علي باش ، د.أ.ط.ك.ن.ت ، الجزائر، ص 69.

(**)- عقدت إسبانيا و البرتغال عام 1509م معاهدة في مدينة فيلا فرنكا بإيطاليا تقضي أن تكون المغرب الأقصى للبرتغال و الجزائر و تونس للإسبان ، المصدر أنظر : أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492م -1792م ، مرجع سابق ص 33.

(1)- عائشة غطاس ، مرجع نفسه ، ص13 .

- الحاجة إلى الأسواق لتصريف المصنوعات الكثيرة .
- الحاجة إلى مجال حيوي جديد لجلب مختلف المواد التي تتطلبها الصناعات الحديثة التي عرفتها أوربا .
- الحاجة إلى اكتشاف طرق جديدة تخلص أوربا من قبضة العرب الذين كانوا يتحكمون في الطرق التجارية طوال القرون الوسطى(1) .

و كان للكنيسة دور بالغ الأهمية ومساهمة عظيمة في هذه الحروب فالبابا اسكندر السادس "1492م-1503م" حث جميع البلاد المسيحية على وضع إمكانيتها البشرية و المادية تحت تصرف ملوك اسبانيا من أجل إبعاد الخطر الإسلامي وكان الكاردينال خيمينيس* بمثابة المهندس والمشرف على ذلك .

كانت أول نقطة إحتلها الإسبان على الساحل المغاربي مدينة مليلة عام 1497 م وعقب ذلك وجهوا أنظارهم صوب الشواطئ الجزائرية ، بعد ما أبرمت معاهدة في 7جوان 1494 م التي تم بمقتضاها تقسيم مناطق النفوذ بين البرتغال و إسبانيا .

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير وهو موقع له أهمية بالغة منذ زمن بعيد إذ نظرا لأهميته سماه الرومان " المرسى الرباني" ، وكان الهدف من وراء احتلاله ضمان أمن أسطولهم ، انطلق الأسطول الإسباني من مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505 م بقيادة " دون ريمون دي قرطبة " على رأس 5000 رجل ، لم يجد الإسبان سوى حامية صغيرة تتشكل من خمسمائة جندي فاستولى الإسبان عليه ، وبعد مرور عامين من احتلال المرسى الكبير حاول الإسبان التوغــل في الداخل إلا أنهم فشلوا في هذا التوغل حيث واجهتهم حملة عسكرية في 6 جوان1507 م مني الإسبان على إثرها بهزيمة فسارعوا إلى تعزيز قواتهم المرابطة في المرسى الكبير ، وقطع الإسبان الأمل في التوغل داخليا (2) .

---

(1)- محمد سي يوسف ، أمير أمراء الجزائر علج علي باش ، مرجع نفسه ، ص13 .

(*)- **خيمينيس دي سيسنيروس** : كاردينال إسباني عرف بتطرفه وتعصبه ضد المسلمين ولد بقشتالة عام 1436م كان من الموظفين السامين في بلاط الملكة إيزابيلا ، وفي عام 1507 م أنيطت به مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي زرعت الرعب والبعر في نفوس المسلمين بالأندلس ، المصدر أنظر : محمد سي يوسف ، أمير أمراء الجزائر علج علي باش ، د.أ.ط.ك.ن.ت ، الجزائر، ص 69.

(2) -عائشة غطاس ، مرجع نفسه ، ص13 .

بعد أن أصبح للإسبان قاعدة يرتكزون عليها جاء دور مدينة وهران ، لقد انطلق الأسطول في 16 ماي 1509 م ، من ميناء قرطاجة بقيادة الكاردينال خيمينيس نفسه ، و وصلت إلى وهران يوم 19 من نفس الشهر و فرضت عليها حصارا حتى استولت عليها .

و قد ارتكب الإسبان مجزرة كبيرة ، فدمروا وفتكوا و أسروا نحو 8000 شخص ، كما حولوا مسجدين إلى كنيستين وبعد هذا النجاح عين الإسبان أحد قراصنتهم وهو " بيدرو نافارو" حاكما عاما عليها و على المرسى الكبير ومملكة بني زيان التلمسانية التي أعلنت خضوعها لهم .

و من الساحل الغربي وجه الإسبان أنظارهم صوب الساحل الشرقي فكان احتلال مدينة بجاية وكانت أوضاعها السياسية مساعدة للغاية نتيجة الصراع العائلي القائم حول الحكم وقد أعد وجهز الحملة الكاردينال خيمينيس أيضا و أسندت القيادة إلى " بيدرو نافارو" ، وفي 1 جانفي أقلع الأسطول الذي كان يشمل عشر سفن كبيرة ، تحمل على متنها عشرة آلاف رجل و تعزيزهم بمدفعية ضخمة وسلاح وفير ، وكان وصول الأسطول أمام مدينة بجاية في 5 جانفي 1510 م ، وقد أبدى سكان المدينة دفاعا مستميتا وكان رد الفعل الإسباني شنيعا ، حيث ارتكبوا مجزرة راح ضحيتها نحو 4100 شخص ، وعاث الإسبان فسادا في المدينة التي هجرها أهلها (1) .

أما مدينة الجزائر فقد توجه حاكمها " سالم التومي" في 31 ماي إلى بجاية و وافق على تسليم الإسبان أحد جزر و أكبرها والتي بنوء عليها ما اشتهر " ببنيون الجزائر" ، كما التزم بدفع ضريبة الولاء ، هذا وذهبت بعض الروايات إلى أن " بيدرو نافارو" اشترط على سالم التومي التوجه إلى إسبانيا لإعلان فروض الطاعة و الولاء بتنفيذ المعاهدة أمام الملك ، وأصبحت مدينة الجزائر منذئذ تحت التهديد المستمر من الطرف الإسباني (2) .

أما مدينة عنابة فقد احتلها " بيدرو نافارو" عنوة أثناء عبوره إلى تونس ، وترك بها حامية عسكرية ثم واصل طريقه نحو تونس ومنها إلى طرابلس التي احتلها رغم شدة المقاومة في جويلية 1510 م ، ثم أعلنت مدينتا دلس و مستغانم ولاءهما والتزامنا بدفع الضريبة للأسبان هكذا استطاعت اسبانيا و في ظرف قصير للغاية 1505م-1511م ، أن تطوق الساحل الجزائري عن طريق احتلالها لنقاط استراتيجية .

في ختام حديثنا عن الاحتلال الاسباني هناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح هو : كيف اكتفت إسبانيا باحتلال الشواطئ فقط ؟

---

(1)- يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، د.م.ج، ط2 ،2007م ، الجزائر، ص 9 .

(2) - يحي بوعزيز ، مرجع نفسه ، ص 10 .

إن الملك " فرديناند" فضل سياسة الاحتلال الجزئي عن طريق إنشاء محميات لأنه كان منشغلا في المقام الأول بايطاليا ، أي أن الحروب الإفريقية كانت في المرحلة الثانية ، لقد ذهب جوليان إلى القول بأن خيمينيس نفسه لم يضع مشروعا للاحتلال الكلي وفي الوقت ذاته يقر بأن التدخل التركي- العثماني غير المنتظر زاد وضع الحاميات الإسبانية سوءا ليس هذا فحسب بل أدى إلى فشل و إخفاق سياسة إسبانية في إفريقيا [1] .

(1) - عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 18 .

II)- الاستنجاد بالعثمانيين :

منذ أن سقطت غرناطة في أيدي المسيحيين في 1492 م سيطر البرتغاليون و الإسبان على الأندلس وانتهى الوجود الإسلامي بها وتكونت دولة إسبانيا الحديثة والروح الصليبية ضد المسلمين تتأجج وصاحبتها الرغبة في مطاردة المسلمين في شمال إفريقيا ، ومن ثم دارت حرب بحرية بين الإسبان والمسلمين في البحر المتوسط و استمرت حتى طرد آخر فوج من العرب من إسبانيا في 1610 م ، ترتب عن ذلك نزوح أعداد كبيرة من المسلمين إلى شمال إفريقيا محملين بالحقد الدفين ضد المسحيين ، لم يكن أمام أهل الجزائر وطرابلس غير الدخول في حماية أحد كبار الملاحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والثغور الإسلامية كلها في ذلك الحين (1) ، وقد لمع اسم " بابا عروج" وشقيقه " خير الدين بربروسة " وهما أبناء لأب من أصل تركي بإقليم الروملي اسمه "يعقوب بن يوسف" كان يقطن بجزيرة مدلي " متيلان" مقابل الساحل الإيجي بتركيا و يحترف صناعة الفخار .

ولد "عروج " حوالي عام 1473 م و"خير الدين" في العام الموالي ، وكانا يبيعان الفخار لأبيهما في بعض المراكب ، وفي إحدى المرات وقع عروج أسيرا وبيع عبدا لشخص بجزيرة رودس وفي أثناء توجهه إلى مصر كمجدف في سفينة تحمل أسرى مسلمين جرى إقتدائهم بالمال ، ففر من المركب وانتهى به المطاف إلى " أضاليا " بإمارة " قرمان " ثم انتقل إلى مصر وعمل في مركب بحري يحمل الأخشاب لصنع السفن ، اعترضه بعض قراصنة جنوة الايطاليتين وأحرقوا له سفينته فعاد إلى أضاليا وتعرف بالأمير " قرقرد* " شقيق " السلطان سليم " ، فجهز له سفينة للجهاد في البحر المتوسط الشرقي ضد القراصنة المسيحيين ، وساقته الظروف إلى جزيرة "جربة " جنوب شرق تونس حوالي 1504 م فاستقر بها ولحق به أخواه خير الدين وإسحاق

و قد أصبح لديهم حوالي اثنتي عشرة سفينة واتفق مع الأمير الحفصي" أبي عبد الله محمد علي" أن يسمح لهم بجعل جربة مركزا لأسطولهما ، ويفتح لهم عند الضرورة مقابل خمس الغنائم التي يغنمونها في البحر فأخذوا يجاهدون ضد القراصنة المسيحيين وبخاصة الإسبان منهم والبرتغاليين، ولما كانت جربة بعيدة عن هجمات الإسبان على السواحل الإفريقية ، فقد اتفقوا مع الأمير الحفصي لنقل مركزهم العسكري إلى حلق الوادي في أقصى شمال شرق تونس (2) .

---

(1) - ناهد إبراهيم دسوقي ، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، د.م.ج، (د.ط) ،2010م ، ص 8 .

(*)- **الأمير قرقود** : الابن الثالث للسلطان بايزيد الثاني و الأخ الكبير للسلطان سليم الأول ، اشتهر بحمايته للبحارين ، الأتراك ، قتله سليم الأول بعد جلوسه على عرش السلطنة عام 1512م ، أنظر المصدر : مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ش.أ.ط.ن.ت ، الجزائر، 2010 م ، ص 23 .

(2)- يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 9 .

ابتداء من عام 1512 م بدأ نجم الإخوة الأتراك يخترق الآفاق، وأخذ الناس يسمعون عن انتصاراتهم ضد القراصنة الإسبان في عرض البحر وفي شواطئ الأندلس نفسها، لذلك اتصل به علماء واعيان بجاية، أمير قسنطينة الحفصي أبو بكر في العام نفسه .

و استصرخهم للنجدة ورفع ظلم الإسبان عن بجاية فبلوا الرغبة وزحفوا على المدينة بعمارة بحرية من حلق الوادي ، لكنه صادف تحصينات الإسبان القوية ، وجرح عروج أثناء محاولة اقتحام المدينة واضطر المشرفون على علاجه أن يقطعوا ذراعه بعد أن استعصى عليهم علاجها فأوقف العمليات و اتجه نحو تونس ، بعد أن فقد أخاه إلياس في هذه المحاولة [1] .

أدرك عروج أن تمركزهم بحلق الوادي يبعدهم عن ميدان المعركة و لا يساعد على التفوق على الإسبان لذلك قرروا البحث عن مركز جديد لهم يكون قريبا من بجاية و وجدوا أن جيجل أحسن مكان لهم للتمركز، وكانت مدينة جيجل محتلة من طرف قراصنة جنوة الإيطاليين ثم احتلها " أندري دوريا* " عام 1513 م ، وسنحت الفرصة لعروج وأخيه فانتزعاها منه عام 1514 م ونقلا إليهم مركزهما محلق الوادي .

بعد الاستقرار في مدينة جيجل اهتم عروج و إخوته بأمر المسلمين المضطهدين في الأندلس فأخذوا يترددون بأسطولهما على شواطئ الأندلس و ينقلان المهاجرين إلى شمال إفريقيا ، ولم يكتفوا بهذا فأغار خير الدين على جزر البليار وأسر ما يقرب من ستة آلاف أسير إسباني كانتقام من الإسبان [2] .

نظرا للنجاح الذي حققه عروج بجيجل فقد بايعه سكانها أميرا عليهم ، فأعاد الكرة لفتح بجاية عام 1514 م فنضم حملة عليهم عام 1514 م بجيش بري وحاصرها ما يقرب من ثلاثة أشهر دون جدوى ، وكرر المحاولة في ربيع العام الموالي بقوة برية كبيرة ، ولكن اضطره إلى الانسحاب منها ، وفي هذه الفترة بعث السلطان العثماني لعروج وخير الدين أربع عشرة سفينة ومجموعة من المجدفين المهرة وكمية من السلاح و الذخائر جزاء الهدية الثمينة التي أرسلها له بعد فتح جيجل .

---

(1) - ناهد إبراهيم دسوقي ، مرجع سابق ، ص 9 .

(*)- **أندري دوريا** : (1466م-1560م) من جنوا و أميرا بحريا مرتزقا ، كان يملك أسطولا من سفن الحرب المعدة لخدمة الحكام الذين يقدمون المال و النفوذ ، كان في الأول في خدمة فرنسوا الأول ملك فرنسا ، ثم انضم إلى شارل الخامس كان أهم أمير بحري إسباني في البحر المتوسط ، أنظر المصدر : لمنورمروش ، القرصنة الأساطير و الواقع ، دار القصبة للنشر،(د،ط) ، ج2 ، الجزائر ، 2009 م ، ص 89 .

(2) - يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 13 .

تحولت القلعة والحصن الذي أنشاه الإسبان على الصخور المواجهة لمدينة الجزائر 1510 م* إلى وكر للجوسسة والتخريب ، بشن منه الإسبان دوما الغارات على المدينة ، ونتيجة لذلك ذهب وفد من سكان المدينة إلى جيجل عام 1516 م وشكى لعروج ما هم عليه من الضيق والخطر فقرر إنجاد سكان مدينة الجزائر.

لقد خرج عروج على رأس قوة برية بعضها من الأتراك و أغلبها من سكان القبائل ، بينما قاد خير الدين أسطولا بحريا في نفس الاتجاه والتقيا معا بمدينة الجزائر واستقبلهما السكان استقبالا حسنا ، وشرعا في الحال في قذف الحصن الإسباني بمدافعهما .

بعد ما عاد عروج من " شرشال" إلى مدينة الجزائر بايعه السكان أميرا للجهاد في سبيل الله فأثار ذلك حقد " سالم التومي" وأشياعه الذين كانوا يحتفظون بالسلطة في المدينة ، فحاولوا التأمر ضده ، لكنه فطن للمؤامرة فقبض على " سالم التومي" وأغتاله ، توجه عروج إلى أمير تنس الزياني المتعاون مع الإسبان للانتقام منه ، فذهب إليها على رأس قوة كبيرة وافتتحها في شهر جوان 1517 م ، وقتله وطرد الإسبان المتمركزين بها ، ثم قسم المغرب الأوسط إلى قسمين :

قسم شرقي مركزه دلس ويشرف عليه أخوه خير الدين ، وقسم غربي مركزه مدينة الجزائر يحكمه هو نفسه ، وقد حضر إليه وفدمن سكان مدينة تلمسان ليشكو لهم أوضاع بلادهم السيئة وتهديد الإسبان لهم ، لبى عروج رغبة الوفد و استخلف أخاه خير الدين على مدينة الجزائر واتجه هو إلى تلمسان وهو على قلعة بني راشد قرب معسكر فوضع بها حامية تركية تحت قيادة أخيه إسحاق** لتحمى ظهره ، و واصل هو الزحف إلى تلمسان واستطاع بسهولة أن يتغلب على أبي حمو الثالث، تعاون الإسبان مع أبو حمو و شنوا حملة على قلعة بني راشد واحتلوها وطردوا منها صاحبها إسحاق وواصلوا السير إلى تلمسان وفرضوا عليها حصار شديد، واضطر عروج أن يعتصم بالمشورة عدة أيام ، ثم غادرها ليلا في اتجاه بني يزناسن قرب ساحل البحر، لكن الإسبان تفطنوا لخروجه واتبعوه واغتالوه بين المالح " ريو صالادو" و زاوية سيدي موسى وحزوا رأسه وأرسلوه إلى إسبانيا حيث طيف به معظم مدنها [1] .

(*)- يقع الحصن في عرض البحر على مسافة ثلاثمائة متر من مرسى الجزائر ، أسندت حراسته إلى مئات الجنود المتخصصين به مزودين بمئات المدافع يقودهم نبيل عجوز يدعى دون مارتين دي فيرغاس ، أنظر المصدر : مذكرات خير الدين بربروس ، مرجع سابق ، ص 127 .

(**)- **إسحاق** : الأخ الأكبر لخير الدين بربروس ، التحق بهم في الجزائر و اشترك مع إخوته في غزواتهم ، قتل في قلعة سيدي راشد بالجزائر سنة 1518م ضد الإسبان ، أنظر المصدر : مذكرات خير الدين بربروس ، مرجع سابق ، ص 37 .

(1) - يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 15 .

III) - إلحاق الجزائر بالدولة بالعثمانيين :

و جد " خير الدين * " نفسه بعد مقتل أخيه في موقف حرج للغاية ، فقد أدرك في الحال ضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي، فالأعداء يحيطون به من كل جانب ، ففي الداخل كثر المعارضون ضده ، وتمر عليه " أحمد بن القاضي" في جبل كوكو، و تمردت شرشال و تنس وبقايا بني زيان بتلمسان و حلفاؤهم الإسبان بوهران، وفي الشرق بنو حفص ، وفي الخارج كانت أخطار الإسبان بادية تهدد بابتلاع شمال إفريقيا كله بسبب تمركزهم في عدة نقاط من الساحل أمثال : وهران بجاية ... إلخ.

و لم يكن يتمتع أول الأمر بشعبية واسعة كشعبية أخيه ، إذ لم تكن له علاقات برؤساء القبائل فضلا على أنه واجه نقصا في السلاح والعتاد ، وهو ما وصفه صاحب الغزوات أثناء تدوينه للحوار الذي دار بين خير الدين وأعيان مدينة الجزائر:"... أنا بقيت في بلادكم منفردا غريبا لا ناصر لي ولا معين ، ولقد رأيتم ا ما وقع من سلطان تلمسان وما أجلب به علينا من النصارى..."

و لا ريب أن الوضع الصعب الذي أصبح عليه خير الدين دفع به إلى التطلع صوب الشرق ففي هذه الأثناء كانت الإمبراطورية العثمانية في أوج توسعاتها وحقق الجيش العثماني انتصارات ساحقة على الفرس عام 1514 م ، وفي سوريا عام 1515 م ، ثم في مصر 1517 م [1] .

فقد أدرك خير الدين بتفكيره السليم ومحاكاته للواقع الذي يتعايش معه ، انه بحاجة إلى حماية دولة قوية تحميه ويستند عليها في أوقات الشدة و الضيق ، فبدأ في إقناع أعيان مدينة الجزائر من الأخطار المحيطة بها ، وكونها دولة إسلامية تتوجه نحو حماية الإسلام .

حيث عبر خير الدين عن رغبته في الرحيل من المدينة والعودة إلى النشاط البحري لكنه عد من رأيه عندما رأى الإسبان يعودون إلى وهران ، فبايعه الناس سلطانا عليهم اهتم بتدعيم سلطته بالمدينة ، فقرب إليه المرابطين المشهورين بورعهم واهتم بتنظيم الدفاع عن المدينة [2] .

(*)- **خير الدين باشا** : (1466م-1546م) بحار مشهورا و أمير الأسطول العثماني ، بدأ نشاطه بنقل البضائع على متن سفينة إلى ماروس، سالونيك و ينقربون ، بعد وصول سليم الأول إلى العرش ترك شرق المتوسط وتوجه نحو غربه ، أين مارس الجهاد البحري مع أخيه عروج ، وقد عينه السلطان العثماني بايلر بايا على الجزائر بعد انضمامها للدولة العثمانية ، في عهده ولد ميناء الجزائر وأصبحت تسمى المحروسة ، المصدر أنظر : عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 95 ، وكذا : عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانون في إفريقيا الشمالية ، تر: محمود علي عامر ، د.ن.ع.ط ،(د.ط) ،1989 م ، ص 8 وما بعدها.

(1)- عائشة غطاس ، مرجع نفسه ، ص 24 .

(2)- عزيز سامح إلتر ، مرجع نفسه ، ص 72 .

في عام 1518 م وجه أعيان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان " سليم الأول" يناشدونه فيها الحماية و الانضمام إلى الدولة العثمانية ، و تعد هذه الرسالة أول وثيقة في تاريخ العلاقات بين الطرفين ، ومما جاء فيها : " ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ، إلا أن عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيدها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم النيل منا ، ونحن على غاية الضعف و البلاء ... " [1] .

نجحت البعثة الجزائرية في تحقيق أهدافها ، إذ سارع السلطان " سليم الأول" إلى منح رتبة "بايلر باي" إلى خير الدين ، وهي رتبة تخول صاحبها اختصاصات سياسية و إدارية واسعة ومتشعبة ، كما تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلا السلطان ، وكان من مدلولات منح هذه الرتبة الرفيعة أن بلاد الجزائر أو المنطقة التي كان يحكمها خير الدين في ذلك الوقت والتي قد يمتد إليها نفوذه خلفائه في قابل الأيام تصبح تحت السيادة العثمانية وأن أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية .

و بذلك دخلت الجزائر تحت سيطرة الدولة العثمانية وأصبحت ضمن ولاياتها و أكسبها ذلك الوضع نوعا من الحماية ، ودرأ عنها كثيرا من الأخطار ، خاصة أطماع الإسبان [2] .

لقد خضعت دول الشمال الإفريقي للسيطرة العثمانية – باستثناء المغرب- في أوائل القرن السادس عشر بعد أن استطاع العثمانيون صد الهجمات الإسبانية على السواحل المغربية ، وإنقاذ البلاد من التفكك والانقسام وتوحيدها سياسيا في ظل الحكم العثماني ، إن سكان شمال إفريقيا رحبوا بمجيء العثمانيين ولم يعتبروا دخول شمال إفريقيا في حضيرة الدولة العثمانية احتلالا أجنبيا [3] .

---

(1)- عبد الجليل التميمي ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519م ، المجلة التاريخية المغربية، العدد السادس ، 1976، ص 116-120 .

(2) - صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م-1830م ، دار هومة ، ط2 ، 2007م ، الجزائر، ص 49 .

(3) - ناهد إبراهيم دسوقي ، مرجع سابق ، ص 8 .

الفصل الأول

البحرية الجزائرية و دورها الداخلي ومكانتها الدولية

ا)- نشأة البحرية الجزائرية :

عرفت البحرية الجزائرية طيلة تاريخها الطويل عدة مراحل متميزة ، فبعد الماضي العرق في الفترة السابقة للإسلام ، تشكلت النواة الأولى للقوة البحرية الجزائرية إثر الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع ميلادي [1] .

يقول ابن خلدون في المقدمة : " إن التفوق المغربي في البحر المتوسط بدأ في نهاية القرن الثامن وبالأخص بعد فتح صقلية سنة 827 م والمسلمون خلال ذلك قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة والعساكر الإسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العداوة الشمالية فتوقع بملوك الإفـــرنج وتـــثخن في ممالكهم" [2].

و قد اهتم المسلمون بإنشاء أساطيل بحرية لمواجهة التحرشات البحرية البيزنطية وخاضوا معركة ذات الصواري البحرية لأول مرة عام "35 هـــ/655 م"، ضد الأسطول البيزنطي في الشواطئ الشمالية الشرقية للبحر المتوسط .

و قد تمكن "حسان بن النعمان" بعد الاستيلاء على قرطاج 694 م من تكوين نواة للأسطول الإسلامي بالمغرب عملا بتوجهات الخليفة الأموي "عمر بن عبد العزيز" القاضية بإنشاء دار سفن إفريقيا ، واستقدام الصناع المهرة لهذا الغرض من مصر، وقد ساعد على تطور البحرية الإسلامية بالمغرب فيما بعد إنشاء ترسانة للسفن بتونس بأمر من " الوالي عبد الله بن الحجاب" 732 م الذي طور دار الصناعة التي أنشأها قبله حسان بن النعمان واهتم ببناء المراكب البحرية وإصلاحها وبتوفير التجهيزات البحرية كالحبال والأخشاب وإعداد البحارة والمجدفين فظهر إلى الوجود أسطول مغاربي كبير العدد ، موفر العدة سيكون له الأثر الفعال في مستقبل الدولة الإسلامية بهذه البلاد المغاربية [3] .

و قد ساهم الأسطول المغاربي في فرض سيادة المسلمين على جزيرة سردينيا 752 م وسواحل جنوب إيطاليا 821 م ، وزادت أهمية هذه البحرية في عهد الفاطميين بالمهدية 972 م ، إذ قدرت بعض المصادر عدد قطع الأسطول في عهد المعز لدين الله الفاطمي قبل انتقاله إلى مصر بـــ 600 قطعة بحرية .

---

(1)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط2، دار البصائر، الجزائر ، (د.ت) ، ص131 .

(2)- عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ط2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان، (د.ت)، ص450 .

(3)- يحي بوعزيز، مرجع سابق ، ص 158 .

بدأت البحرية الجزائرية تتميز بنوع من الاستقلال عن باقي الأساطيل المغربية وأصبحت تشكل قوة بحرية خاصة ، كان لها دور مهم في مواجهة التحدي المسيحي على عهد الحماديين 1163م، والمرابطين 1147 م والموحدين 1226 م ، وتركزت قواعدها في مدن عنابة ، بجاية ، دلس وهران والمرسى الكبير وأرشقول وهنين ، وأثناء ذلك أصبحت القطع البحرية الوسيلة الفعالة في الدفاع عن السواحل الجزائرية ورد الهجمات الأوربية عنها ، رغم ظهور قوة النورمان البحرية واختلال التوازن بالمتوسط بفعل تزايد قوة النصارى البحرية ، وقد ظلت بجاية وحتى بعد سقوط دولة الموحدين وضعف دولة بني عبد الواد بتلمسان ، وبني حفص بتونس قاعدة بحرية مهمة تنطق منها وحدات البحرية الجزائرية لمواجهة الأساطيل المسيحية المغيرة على السواحل[1] .

و رث بنو عبد الواد الزيانيون بتلمسان قسما من الأسطول الموحدي عندما أقاموا دولتهم عام 1236 م ، ولكنهم لم يقوموا بدور مهم يذكر في ميدان الحروب و التجارة البحريتين ، نظرا للضغوط الكثيرة المسلطة عليهم وعلى دولتهم وإمارتهم من طرف أشقائهم الحفصيين بتونس والمرينيين والسعديين بالمغرب الأقصى ، وذلك من ضمن العوامل التي أعطت التفوق للأساطيل البحرية القشتالية ، ومكنتها من التحرش والاعتداء على معظم موانئ البلاد المغاربية واحتلالها خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وتوافد أعداد كبيرة من البحارة الأندلسيين جعل نشاط القطع البحرية الجزائرية يتحول إلى الدفاع عن السواحل ومهاجمة السفن الأوربية الراسية بها فتعددت الغارات على الشواطئ الإسبانية خاصة في وقت تغيرت فيه موازين القوى بالمتوسط باشتداد التنافس الدولي الإسباني العثماني من أجل الفوز بالسيـــادة على الحوض العربي للمتوســـط [2].

وصاحب هذا الصراع العالمي ظهور الدولة الجزائرية الحديثة وتطورها في نطاق الإمبراطورية العثمانية " 1518 م - 1830 م " ، وقد قويت البحرية الجزائرية في هذه الفترة المجيدة من تاريخها، وسنذكر أسباب تطورها و مظاهر قوتها .

(1)- نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق ، ص132 .

(2)- نصر الدين سعيدوني، مرجع نفسه ، ص 132 .

II)- مقومات البحرية الجزائرية (مكونات) :

يمكن التعرف على مقومات البحرية الجزائرية في العهد العثماني في المجالات التالية :

1- **الأسطول البحري** :

اختلفت جميع التقارير التي قدمت حول عدد وحدات الأسطول الجزائري بسبب التغيير الكبير الذي كان يصيب هذه الوحدات فالزيادة و النقصان يرتبطان بالأعمال البحرية أو بالمساعدات والتعزيزات التي كانت موجهة من الجزائر إلى تركيا بطلب من الباب العالي بفرمانات ، وكانت هذه المراكب تبقى في بعض المهام لمدة ستة أشهر والبعض الأخر تبقي لمدة تزيد عن السنة وكان عدد المفرزة دائما يتراوح بين خمسة أو ستة مراكب [1] .

و يمكن أن نميز الأنواع التالية :

- **القاليرة** LA GERE : هي أكثر أنواع السفن في أسطول دار الجهاد طولها 50 متر وحمولتها متوسطة وسرعتها خفيفة وتحتوي على 25 إلى 26 مصطبة ، كل منها يجلس عليها من 2 إلى 8 أشخاص.

- **الغليوطة** LE GALION : وهي أصغر من القاليرة وتحتوى على 14 إلى 25 مصطبة وعدد مواقعها 20 وبحارتها من 10 إلى 30 رجلا .

- **الغليون** LE GORLION : وهو مركب بحري كبير شاع خلال القرون 16 و17 و18 ميلادي واستعمله الإسبان في نقل الذهب و الفضة والمعادن الثمينة من مستعمراتهم بأمريكا اللاتينية .

- **القوليت** LE GOELETTE : تدعى السكونة وهي مركب صغير ذو صاريين ويسير بالأشرعة .

- **الطريدة** LE TARIDA : وهي نوع القاليرة ولكنها أكثر سرعة وتستعمل لشخن ونقل البضائع الثقيلة .

- **الفوستة** LE FUSTE: مركب سريع الحركة مزدوج يسير بالأشرعة والمجاديف وبها من2 إلى 14 مصطبة .

- **البيرقانتين** LE BIRGANTIN : تصنع بشرشال و تستعمل لمواجهة سواحل الأعداء ويسير بالمجاديف .

- **الفرقاطة** LE FREGATTE : وهي وحدة حرب ذات حمولة أكثر من الكورفيت [2] .

(*)- عام 1138 هـ خرجت مفرزة من 5 مراكب بقيادة القبطان بن يوسف بقيت بتركيا 5 سنوات ، انظر المصدر: عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 104 .

(1)- نصر الدين سعيدوني، مرجع نفسه ، ص 132 .

(2) - يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 170 .

- **الكورفيت** LE CORVETTE : وتدعى الحراقة وهي طراد مركب بحري صغير له صاريان اثنان وحمولتها بين الفرقاطة والبريك .
- **البريك** LE BRICK : مركب صغير الحجم له مجدافان وشراعان مربعان .
- **البريك – قوليت** BRICK - KOELITTE : وهو مركب بالأشرعة سريع الحركة له صاريان .
- **الكرافيل** LE CARAVELLE : مركب صغير الحجم شاع استعماله خلال القرنين 15 و 16 م .
- **الولاكر** LE POLACRE : مركب ذو ثلاثة مجاديف وشراع واحد .
- **الشطية أو الشاطية** : مركب صغير لحراسة السواحل (خفر السواحل) .
- **الغراب** : يسير بالمجاديف فقط ، وبه 24 مجدافا كل واحد عليه أربعة رجال لدفعه وهو كبير الحجم .
- **الشالوب** CHALOUPE : فلوكة و زورق طويل .
- وهناك أيضا : **الجفن ، اللنشون ، البلاندرة ، اللنجور** [1] .

كما يذكر "مولاي بلحمسي" قائمة لأسماء السفن الجزائرية مع بداية القرن 16 م ، حيث بدأت الأسماء جديدة للبواخر خاصة بداية 1622م سميت كالآتي :

- **باخرة الأميرال** " باقة الزهور" تحمل 36 قطعة .
- **التنين** بسبعة رؤوس تحمل 36 قطعة .
- **الفلفلة** " شجرة الفلفل" تحمل 36 قطعة .
- **نابتين** " كوكب بنتون" تحمل 36 قطعة .
- **ينبوع** .
- **قريفون** " حيوان خرافي في نصفه أسد و نصفه نسر ويمكن أن تسميه عنقاء " .
- **الشمس الساطعة** تحمل 34 قطعة .
- الحصان الأبيض تحمل 34 قطعة .
- **سبعة نجوم**
- **الهلال** .
- **الملك لويس** [2].

(1) - يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 171 .

(2) – Moulay Belhmissi , **Marine et marins d'Alger (1518- 1830)** , Tome I , Bibliothèque nationale d'Algérie, 1996,Alger. p 109 .

جدول بأسماء السفن الحربية في العهد العثماني[1]

الاسم العربي	الاسم الأجنبي
ابريق	BRIQUE
بلاندرة	BLANDRA
بركنتي	BOGANTIN
بولاكر	POLACER
جفن	VAISSEAU
زورق	EMBRACATION
طريدة	TARIDA
طريدة	TARTNAT
كرويف ، فرويت	CORVETTE
لنشون	CHALOUNE
مركب	NAVIRE
صندل	BABARRE
غيلوطة	GALOITTE
غراب	
فلوكة	FELOUQUE
فرقاطة	FRIGATE
سكونة	SCHONER
شباك	CHEBEC
شلوبة	CHALOUPE
شيني	GALERE
نصف شيني	D. GALERE
شطية	BARQUE
ارمادة	ARMADA مأخوذة من الإسبانية بمعنى " اسطنبول"
عشاري	ESQUIF
قريبلة	CARAVELLE
دوننما	FLOTTE

(1) - لخضر درياس ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، دار الحضارة للطباعة و النشر، (د.ط)، الجزائر،2007م، ص 228 .

في عام 1516 م جاء خير الدين بربروس من جيجل على رأس عدد من المراكب بلغ 21 مركبا وفي سنة 1585م كان عدد الوحدات يزيد عن 53 قليرة " لومانة " و25 فرقاطة ، وفي سنة 1571م ارتفع عدد قطع إلى ما يزيد عن 100 قطعة مختلفة الأحجام، وفي سنة 1620م كان عدد القطع 80 سفينة كبيرة ومئات من السفن الصغيرة ، وفي سنة 1634م ارتفع العدد إلى 600 وحدة بفضل التجارة المربحة ، وفي سنة 1656م انطلق الجزائريون في حملة بحرية بـــ 23 سفينة تتراوح تسليح كل واحدة منها بين 30 و 50 مدفعا و يصل طاقمها إلى 400 بحارا ، وفي سنة 1686م تقدم القنصل " بيول Piolle " تقريرا يذكر فيه أن عدد وحدات الأسطول يزيد عن 21 قطعة يضاف إليها عدد من المراكب الصغيرة و11 بريقانتين ومركب وسبعة زوارق وأكثر من 15 عمارة تجارية بدار الصناعة البحرية .

و في سنة 1687 م قدم الدوق " دوقرانطو Duc de Grafton " تقريرا آخر عن القوة البحرية ذكر فيه أن عدد السفن يزيد عن ثلاثين مركبا تحمل بين 94 من مدافع المهاريس و 18 مدفعا ، وعدد من المراكب منها أربع بوارج و لومونات و مجموعة من المراكب الصغيرة .

كما قدم القنصل " لومير Le maire " عدة معلومات عن الأسطول البحري ذاكر أنه توجد سبعة مراكب كبيرة تحمل ما مجموعة 264 مدفعا و19 سفينة من نوع الشبك ، بمجموع 162 مدفعا و 54 مهراسا و غليوطة بمدفع و ستة مهاريس .

فقد قدم سنة 1800م " دي بواطون فيل Duc Boitan Ville " معلومات عن القوة البحرية وأحصى قطع الأسطول بـــ 15 قطعة مختلفة ولومانة وأكثر من 540 مركبا لحمل المدفعية .

كما في 1808 م قدم " بوتان Boutin " تقريرا عن الأسطول قائلا بأنه يتكون من ثلاث بوارج تحمل الأولى خمسون مدفعا ، والثانية ستة وأربعون مدفعا ، والثالثة أربعة وأربعون مدفعا وسبعة أسباك بـــ 12 إلى 32 مدفعا و10 شالوبات تحمل بين 10 إلى 22 مدفعا راسية، في حالة التأهب وخمسين شالوبا من الصنع القديم لحماية الميناء و لومانتان لحماية الميناء أيضا ، وعدة بوارج قرصان صغيرة " لنجور" .

و أحصى و قدم " ويليام شالر" في سنة 1815 م وحدات الأسطول في النحو التالي :

- خمس فرقاطات تحمل بين 38 و 50 مدفعا .
- أربع كوبيطات تحمل بين 20 و 30 مدفعا .
- بريك بـــ 20 مدفعا .
- قاليرا بـــ 5 مدافع ، يضاف إليها 30 شالوبا تحمل مدافع .

(*)- **الشبك**: نوع من المراكب تستعمل للتشابك أو الالتحام أثناء المعارك البحرية، انظر المصدر: محمد يوسف،مرجع سابق،ص 61.

أما المترجم " بيانشي Bianchi " قدم تقريرا عن القوة البحرية في سنة 1825 م قائلا : " يوجد بميناء الجزائر 15 باخرة مختلفة الأشكال والأنواع وأعطى عدة أسماء للمراكب مثل : مفتاح الجهاد بن 62 مدفعا ، ابن الغواص بـــ 50 مدفعا ، نفير اسكندر بـــ 40 مدفعا ، جميع هذه المراكب من نوع الفريقاط ومظهر استاني بـــ 36 مدفعا ، وفاسية بـــ 46 مدفعا من نوع كوربيط كما توجد سفينتين من نوع بريقانتين بـــ 34 مدفعا ، و4 مراكب يتراوح تسليحها بين 14 و24 مدفعا من نوع القربيط ، بالإضافة إلى البولاكر والشبك أي مجموعة 14 مركبا يضاف إليها 3 مراكب في دار الصناعة ، و35 شالوبا تحمل مدافع أي 52 مركبا " [1] .

- **مصادر تموين الأسطول** :

بالنسبة للمواد الأولية التي كانت تستعمل لصناعة السفن ، فقد كانت الأخشاب تنقل إلى ترسانة الجزائر من نواحي شرشال ، كما كانت غابات " القل " الغنية بأشجار البلوط الأخضر تمول هي الأخرى ترسانة الأيالة بالأخشاب الضرورية لصناعة السفن ، ولا تماثلها سوى غابات اليدوغ وبني صالح والقالة وضواحي السيبوس التي تمول ترسانة الجزائر بالأخشاب والراتنج خاصة وكانت أخشاب غابات القالة أكثر ملائمة لصنع أقفاص السفن لقابليتها للانحناء و التقوس .

و قد أبرمت الحكومة مع الشخصيات المحلية اتفاقيات استفاد منها الطرفان ، فتعهد " آل مقران" بمجانة بقطع الأشجار وإرسالها حسب المقاييس المحددة مسبقا، وكانت مصلحة تعرف " بالكراطسة " تنشط ببجاية ، حيث مركز الفرز والشحن ثم انضمت كل من جيجل والقل إلى العملية وإذا حصل نقص فإن الطائفة تتفاداه عن طريق الحصول عليه كغنيمة عند اعتراض سبيل السفن المعادية المحملة بالأخشاب الملائمة لصناعة السفن أو عن طريق استرجاع بعض السفن التي يغنمونها ويحولونها بكل براعة، وبما أن الصناعة البحرية تحتاج إلى مواد أولية كثيرة وأن بعضها ينقص فإن طائفة رياس البحر عقدت اتفاقيات مع بعض الدول لتزويدها بما تحتاج إليه [2] كانت السويد، الدانمارك، هولندا وانجلترا من أكثر الدول الأوربية التي كانت تزود الجزائر بكثير من التجهيزات البحرية لسنوات طويلة مثل: الأخشاب والأشرعة والصواري ، ومادة البارود والقذائف والقنابل والحبال والكابلات الحديدية وغيرها .

زودت هولندا الجزائر في عام 1680 م بالتجهيزات التالية : " 16 مدفعا حديديا و8 مدافع من البرونز و8 مدافع عيار 50 رطلا بالنسبة لقذائفها و24 مرصاد و12 ألف قنبلة و600 ألف بارود و800 بندقية و 400 سفرة سيف و 25 حبلا غليظا من نوع الكابلات " .

(1) - علي خلاصي ، مرجع سابق ، ص 176 .

(2)- عائشة غطاس ، مرجع نفسه ، ص96 .

أما في عام 1746م زودت الدولة العامة الجزائر بالتجهيزات التالية : " 140 قطعة خشب كبيرة و400 قطعة خشب ذات مقاس 4 بوصات و600 قطعة قماش للأشرعة و80 ألف بارود و60 صاريا كبيرا و 35 حبلا غليظا من نوع قرولين ".

و في عام 1731م زودت السويد الجزائر بما يلي : " 800 برميل بارود و800 بندقية و6000 قنبلة و50 صاريا و8 كابلات و40 مدفعا " [1] .

و زودت الدانمارك الجزائر في عام 1764م بالتجهيزات التالية تنفيذ للمعاهدات التي أبرمت بين البلدين: " 50 صاريا و20 مدفعا حديديا من عيار20 رطلا بالنسبة لقذائفها و90 مدفعا حديديا عيار12 رطلا و8 ألاف قذيفة لتلك المدافع من النوعين أو العيارين و100 آلف بارود و4 ألاف قنبلة ذات وزن100 إلى 150 رطلا و4 مدافع هاون " مورتي " و2 ألف طاولة من نوع 4 بوصات و 500 قنطار حبالا و 10 حبال ذات غلظ 5 إلى 8 بوصات ، و التزم ملك الدانمارك بأن يرسل إلى الجزائر سنويا 50 ألف بارود و 25 حبلا من نوع قريلين و 8 الألف قذيفة " .

كما أحضر في عام 1778م مركب انجليزي للجزائر التجهيزات التالية : " 50 مدفعا حديديا منها 18 ذات عيار 12 رطلا زنة كل واحد منها 22 قنطارا و مجموع وزنها كلها 565 و 64 رطلا و60 مدفعا ذات عيار6 رطلا و 16 مدفعا ذات عيار 8 رطلا زينتها كلها 950 و 34 رطلا ووزن المدافع 18 كلها 1074 قنطارا و 75 رطلا وثمنها 5 كيلات للقنطار الواحد من الحديد يضاف إلها ثلاث مخاطف " " بنفس السعر " [2].

و قد اقترحت انجلترا على الجزائر أن تزودها بمعدات للسفن متنوعة حديدية وفولاذية وبالكبريت و البارود ، وواصل تجار مرسيليا تزويد الجزائر بكل احتياجاتها من تجهيزات البحرية المختلفة ، وقد قدمت انجلترا للجزائر في 21 ماي 1787م التجهيزات التالية: " 4 مدافع ذات عيار40 رطلا و200 برميل بارود كل واحد يزن نصف قنطار و400 قنبلة من عيار تلك المدافع" [3] .

إن جزءا من الخشب الذي كان تصنع منه السفن كان يجلب إلى مدينة الجزائر من بجاية وشرشال وغيرها من الموانئ الصغيرة في شمال إفريقية ، حيث يتوفر الخشب وكان الباقي يأخذ من السفن التي تؤخذ كغنائم والتي ليست صالحة للاستعمال في الغارات ، ولكن لها من اللوح ما هو جاهز لبناء السفن، أما الأشرعة والحبال والطلاء والقطران وغيرها من الضروريات فقد كانت من أماكن عديدة ، وقد جاء لاجئو الأندلس بمهارات كثيرة كانت نافعة ، وكذلك استمر المشرق في تقديم الحاجات البحرية والعسكرية[4] .

---

(1) – Moulay Belhmissi , Op.cit . p 51 .

(2) - يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 166.

(3) - مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني ، ط2، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1981م، ص 52-53 .

(4) - جون .ب.وولف ، الجزائر و أوربا ، تر: أبو القاسم سعد الله ، م.و.ك ، الجزائر ، 1986م، ص 193 .

2- **طائفة رياس البحر** :

تشمل مجموع الذين يعيشون على القرصنة وكانت تشمل بالدرجة الأولى الرياس مالكي السفن وكذلك البحارة وعمال الصيانة ، كالنجارين والجلافطة *، وقد استعملت هذه الكلمة خلال الفترة العثمانية بالجزائر للدلالة على بحرية ايالة الجزائر وعبرت عن كل من له صلة بالبحر وكان لهذه الطائفة دورا أساسيا في مصير هذه الإيالة .

لقد جرت العادة أن يطلق على كل قائد مركب بحري لقب رايس أو قبطان رايس وهؤلاء الرياس ينتمون إلى طائفة الرياس البحرين الذين كانوا يكونون أهم فرقة عسكرية في الجيش الجزائري خلال عهد الأتراك العثمانيين ومعظم الحكام في هذه الفترة كانوا ينتمون إليها .

- **أصول الرياس ومميزاتهم** :

كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية ومختلف المشارب يوحدها الجهاد في سبيل الله وقد تكونت من خليط ممتاز من العناصر المحلية إضافة إلى أعلاج أوربا الذين اسلموا وانضموا إلى بحرية الجزائر ن يضاف إليهم بحارة من الشرق الإسلامي وآخرون قدموا من الأندلس وهذا ما أكسب الجزائر نفسا جديدا وقوة متجددة و تقنيات إضافية في مجال المعدات خصوصا [1]

كان تنظيم الرياس محكما جدا فمهما كان أصل الرياس وجنسيتهم فإنهم يشكلون وحدة متضامنة تنتمي إلى الأسطول الجزائري الذي عرفت من خلاله الجزائر عدة أبطال ذاع صيتهم ونسبوا إلى مدينة الجزائر مثل: " خير الدين بربروس" الذي أسس الأسطول الجزائري وابنه "حسن باشا " و"صالح رايس** " و"علج علي*** " و" ميز و مورتو" و" حسن فنزيانو" و" أرنؤوط مامي" و"حسن باشا الجزائري" و" الرايس حميدو" ، حيث كان في الأسطول الجزائري عام 1620م ما يزيد عن 300 ربان ماهر.

يصف "هايدو" بعض صفات البحارة قائلا : " يبحرون شتاءا وربيعا دون خوف ويجوبون البحر المتوسط مشرقه إلى غربه دون أن يعيروا أي اهتمام للمراكب الأوربية مستهزئين ببحارتهم حتى يتخيل إلى المرء أنهم يخرجون لصيد الأرانب البرية ".

(*)- هم الذين يسدون حزوز السفن بالزفت أو بمادة عازلة ، انظر المصدر: عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 94.

(1)- عائشة غطاس ، مرجع نفسه ، ص95 .

(**)- **صالح رايس** : أصله عربي من الإسكندرية أثناء الغزو التركي لمصر من تركيا إلى الجزائر ، كان مت حاشية خير الدين وينتقل معه وخاض معه معارك ضد الإسبان 1552م أصبح رايس بحار ا لقدراته وكفاءته في خريف 1553م قاد بحرية من 82 باخرة كان الهدف منها تأديب حاكم المغرب (مليلة) ، انظر المصدر: مولاي بلحميسيي ، مرجع سابق ، ص 140.

(***)- **علج علي** : ينحدر من أسرة فقيرة في ليكاستيل بنواحي كالبرجنوب إيطاليا Cap des Canoes ولد سنة 1508م شغب منذ صغره بالصيد ثم عمل في السفن كملاح ، أسر من قبل البحارة الجزائريين ، هو بطل معركة ليبانتو 7 أكتوبر 1571م وقد سماه السلطان العثماني لقب قلج ' السيف ' و عينه في منصب كابدوان باشا وبقي فيه من 1571م إلى حين وفاته في 1587 م ، للمزيد انظر المصدر: محمد سي يوسف ، مرجع سابق .

لم يكن رجال طائفة الرياس بحارة عاديين باعتراف الكتاب الغربيين أنفسهم بحيث أبرزة حنكتهم وشجاعتهم ونظامهم ويذكر أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب وخلال الشتاء والربيع .

إن رياس البحر الجزائريين لا نظير لهم في الحرب التي كانوا يخوضونها ، فقد أظهروا حماسة لا تتوقف وجسارة كانت تتكلل في أغلب الأحيان بالنجاح ويضيف أن سفنهم كانت تشكل القسم البحري الغربي للسفن العثمانية ولم يقتصر هذا الأسطول على الجهاد البحري و الدفاع عن السواحل بل مثل دورا في السياسة الأوربية [1] .

و هناك شهادة أخرى على كفاءة وحنكة وشجاعة البحارة الجزائريين ، وقد جاءت من طرف سفير المغرب لدى الباب العالي في كتابه الرحلة المكسية في السفارة التركية عند مروره بمدينة الجزائر حيث يقول : " وميناء الجزائر دائما مليء بالسفن والمراكب ويشتهر قباطنة هذه المراكب بالشجاعة والحنكة وحسن التقدير فهم لا يخطئون أبدا وهم يمثلون للكفار الرعب في عقر دارهم ... وهم أفضل بكثير من قباطنة اسطنبول بهيئتهم وأزيائهم ويعمل لهم الأعداء ألف حساب "[2] .

و نورد بعض مما كتبه بعض المؤرخين الأوربيين عن البحرية الجزائرية وعن الرياس يقول المؤرخ الفرنسي دوغرامون : " لقد أخذت جرأة الرياس الجزائريين " جمع رايس قائد البحرية " تتطور وتزداد باطراد وهكذا حجزوا على عباب المحيط الأطلسي السفن الاسبانية المسلحة تسليحا ثقيلا والمحملة بالذهب والفضة والبضائع الفاخرة ، وهي راجعة من أمريكا اللاتينية، كما فاجأوا أكثر من مرة سكان شواطئ خليج نمسكونيا وسواحل بحر المنش وبحار انجلترا فمن ضفاف ماديرا على الأطلسي إلى صخور الجليد في ايسلند " "ما كن أحد يستطيع أن ينجو من ملاحقتهم ".

و يقول " هنري غارو" : " أسماء لأهم الوحدات المعروفة " البرتغالية " غنمت من البرتغاليين و أصبحت المركب المفضل للرايس حميدو الشهير، و" ديك البرج" و" انتصار الإسلام"و"العناية الإلهية" و"رعب البحار" و"مفتاح الجهاد" و" الاسكندر الفاضل" وهاتان الأخيرتان هما اللتان نجتا من معركة نافرين ولحقتا بالإسكندرية وبذلك نجتا أيضا من المصادرة يوم 5 جويلية 1830 م "[3].

---

(1)- عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص101 .

(**)- ذهب التمقروني من الغرب الأقصى على رأس سفارة إلى اسطنبول وقد مر على الجزائر أثناء ذهابه وبعد إقامة مطولة باسطنبول حماته سفينتان إلى الجزائر ليكمل سفره إلى المغرب الأقصى وهو من المؤرخين المسلمين رحلته كانت بين 1589م-1591م انظر المصدر: عائشة غطاس ، المرجع نسفه ، ص101.

(2)- علي خلاص ، مرجع سابق ، ص164 .

(3)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م،ج1، دار الأمة ، (ط.خ)، الجزائر، 2008 م ص 72 .

و يضيف : " لقد كان من النادر أن بحرز النصارى نصرا كبيرا عليهم و ذلك أنهم بمراكبهم السريعة المنخفضة التي تخفي عن الأنظار في البحر، كان يطفون فجأة و يختفون عند اللزوم بنفس المفاجأة والسرعة اللتين يبرزان بهما للعيان، وبذلك كانوا أعداء يصعب تحاشيهم ويكاد يكون من المستحيل اللحاق بهم " .

فنجد "مراد رايس" في سنة 1616م ينهب شواطئ ايسلاند يرجع منها إلى الجزائر بأربعمائة أسير و سنة 1619م اكتسحوا الجزيرة البرتغالية ماديرا على المحيط الأطلسي ، وفي سنة 1631م عشوا فسادا في شواطئ انجلترا وأغلقوا مدخل بحر المانش وأخذوا أسرى من بحر الشمال " .

و يقول المؤرخ الألماني" يورى سيميونوف" : " ليس الفرنسيون فقط هم الذين كافحوا القراصنة الجزائريين بل جميع الأمم بدون استثناء كافحت هذا الوباء البحري كافحه الانجليز والهولنديون والإسبان و الجنويون و النابليون و لكن كفاحهم ظل دون جدوى لأن البحرية دحرتهم جميعا بفضل تفوقها و المنظمة تنظيما يستحق الإعجاب " [1] .

فقد تحكمت طائفة الرياس في جميع أوجه النشاط البحري بطريقة شديدة الالتزام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية وقد أصبحت الطريقة الجزائرية مثالا يحتذي به بالنسبة لطائفة الرياس في تونس وطرابلس [2] .

أجمع المؤرخون الأوربيون والأمريكان على أن الجزائر تتمتع ببحرية منظمة أحسن تنظيم زيادة على شجاعة أهلها وكانت الجزائر تستعمل تفوقها البحري بدافع الوعي بمسؤوليتها الدولية عن الأمن والسلم في البحر الذي كان بحرها من البرتغال حتى أيسلندا ، ولم يحدث لها أن ناصرت قويا على ضعيف لكنها تصارع الدول والقوى الكبرى وتفرض عليها معاهدات السلم وضرائب باهظة و كانت تسمى " جمهورية الجزائر" هكذا كانت تسمى رسميا في الكثير من المعاهدات .

لقد كان النظام محكما عن متن السفينة الجهادية الجزائرية إذ شكلت بحرية إيالة الجزائر مدرسة لتكوين الرجال ويصور غرامون جيدا هذه الوضعية إذ يقول أن الرايس يعتبر القائد الأوحد على متن السفينة ، سواء كان موريسكيا أو أسودا أو كرغليا [3] .

(*)- **مراد رايس** : من أصله ألباني ترقي في حرب ين الجزائر و فرنسا ، اظهر شجاعة وقوة أهلية ليكون رايس بحار " 1565م - 1578م " في ماي 1582م أثبت هايدو أنه غادر الجزائر وبقي في جزر الكناري ، انظر المصدر: مولاي بلحميسي ، مرجع سابق ، ص 23 .

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، مرجع سابق ، ص73 .

(2)- ويليام سنبر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تر : عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، ص60 .

(3)- جون ب وولف ، رياس الجزائر ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الثالث ، السنة الثانية ، 1987 ، الجزائر ، ص67 .

كان الجميع يخضع له حتى الانكشاريون الذين على ظهر السفينة ، ويمنع أي تحرك خشية تعكير توازن السفينة والإنقاص من سرعتها وكانت السفينة عند كل خروج إلى البحر تنظف وتلمع كليا و تشحم حتى تصبح كأنها جديدة كل هذه الأشياء جعلت من سفينة الجزائر أداة حرب جد متفوقة مقارنة بالتي تملكها بقية الأمم .

يجتمع مجلس الرياس تحت إشراف الأميرال و يدرس المجلس الشروط المتوفرة في الرايس الجديد، حيث يخضع لامتحان يسأل فيه عن: البحر، وأن يكون ذكيا، أن يكون مسلما أو يدخل الإسلام ويكون بصحة جيدة ، وأن تكون لديه أدوات يستعملها أثناء سفره كالخرائط والبوصلة والداي هو الذي يوافق على تعيين الرايس في حفل عظيم بعد موافقة الداي ، وويل الخرج هو الذي يعلن اجتماع الرياس يبدأون بقراءة فاتحة الكتاب ، و بعد ذلك يعلنون استلامه لمهامه الجديدة ويعينون له الباخرة فيها 5 مدافع و يؤدون التحية للقائد الجديد .

يتحمل الرايس مسؤولية ثقيلة في السلم والحرب ، يقوم الرايس بالأعمال التالية :

- **على مستوى اليابسة** : يراقب الأسطول ويتفحص البواخر ويتفقد التجهيزات من حبال وصواري وأشرعة، والمعدات الخاصة بالباخرة، من اجل سلامة الباخرة وتجنب العطب الذي يمكن أن يحدث أثناء السفر .

- **على مستوى البحر** : يعد إستراتيجية وخطة في البحر ويكون دائما على استعداد لهجوم العدو في كل الحالات " أي طارئ " وهو قادر على أن يتحكم في أسطوله أثناء العواصف البحرية وأثناء المعارك، هولا يخاف من الطوارئ التي قد تحدث على غفلة ويضع نظاما حديديا صارما داخل السفينة فهو يتحد التعب والمرض وهو يجمع بين الحرب والسياسة ويستعمل الحنكة السياسية والقوة الحربية .

أما هدفه الأساسي هو محاربة العدو واصطياد الفرص ضد بواخر العدو الأجنبية وهو يكون دائما على استعداد حتى لا يكون فريسة للأعداء ، يجب على الرايس أن يتحلى بالأخلاق وبالروح الإنسانية الإسلامية ، وأن يساعد السفن التي تتعرض للهيجان البحري ، أما الغنائم فكان الرايس يأخذها في العاصمة و يضعها تحت تصرفه و الداي هو الذي يتصرف فيها [1] .

(1) – Moulay Belhmissi , Op.cit . p 121 .

- **أشهر رياس البحر** :

من أشهر الرياس "علي بتشين" هو من أصل إيطالي اسمه الحقيقي " بتشينو" وما بين سنوات 1641 م و1645 م أصبح زعيما للطائفة ، والرجل القوى النافذ في مدينة الجزائر كون ثروة ضخمة المتمثلة في ملكيته لقصرين فاخرين والجواهر وعشرات السفن وأضحت سلطة الرياس والانكشارية والكراغلة بيده .

و قد وصل إلى المراتب العليا القليل من الجزائريين في الأسطول الجزائر منهم : " الرايس حميدو" الذي قاد الأسطول خلال الحروب النابولية " 1798 م - 1814م " كان حالة خاصة من حيث كونه جزائريا خالصا ، لقد كان ابنا لخياط وعرف بأنه كان يبحر على متن السفينة كخادم في غرفة الضابط في بداية مشواره العسكري ليصل إلى رتبة رايس وهذا قبل تسلمه قيادة الأسطول .

من المعروف أن شجاعة الرايس حميدو وهو يقود المعارك البحرية و المنافع التي يجلبها للخزينة ، جعلت " الداي حسن " يكلفه بقيادة سفينة حربية مزودة بـــ 12 مدفعا وتحمل على متنها ستين بحارا ، لكن الداي أحمد باشا "1805 م-1808 م" نفاه إلى بلاد الشام ومع مجيء " الداي علي الغسال" "1808 م-1809 م" أمر بإحضاره وتكريمه مع تكليفه من جديد بإعادة تنظيم الأسطول الجزائري ، حيث شارك في حروب البحرية الجزائرية ضد الاعتداءات التونسية والمغربية [1].

كما نجد من أهم رياس البحر " درغوث باشا " وهو من أهم خلفاء " خير الدين" من مواليد الأناضول بآسيا الصغرى حوالي 1485 م ويعد من القيادة القليلين في البحرية العثمانية وكان مسلما من أبوين فلاحين ، بدأ يشتغل في السفن العثمانية وهو صغير إلى أن تعرف على خير الدين واشتغل معه واكتسب مهارته فعينه رئيسا لإحدى سفنه ومن ثم أصبح أهم الرياس ونجد كذلك " أرناؤوط مامي" وهو من أصل ألباني وهو قبطان بحر كان قبل ذلك من خدم " قارا علي" إلى أن عين على رأس الإيالة "1583 م -1586 م" [2].

- **طاقم السفينة** :

ينقسم إلى قسمين :

أ/ **الضابط** : وهم يعرفون بالصوطا رايس

- لباشرايس : القائد العام .

(*)- من أشهر غزوات الرايس حميدو البحرية ، استيلاء على سفينة البرتغالية Le Gygne في 8 ماي 1802م مما وفر للجزائر أرباحا بلغت 166246 دولار ، انظر المصدر: ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني " 1792م-1830م " ، م.و.ك ، الجزائر ، ص 54 .

(1)- حنيفي هلايلي ، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007م ، ص48 .

(2) - مولاي بلحميسي ، مرجع سابق ، ص61 .

- الرايس : نائب القائد العام .
- رايس العسة : قائد النوباجية .
- رايس التتريك : رايس احتياطي لقيادة المراكب المحتمل الاستيلاء عليها .
- ياقا نجي : ضبط إداري مكلف بالتجزئة .

ب/ **ضابط** الصف : وهم البحارة العاملون ويتدرجون حسب الترتيب :

- سندر الرايس : قائد الإيجار .
- وكلاء الحرج : وكيل الحرج مكلف بالمدفعيين .
- الخزناجي : مكلف بالإشراف على مخزن الذخيرة .
- المبرجي : حارس العتاد [1] .
- باش جراح : الطبيب المعالج الذي يرافق المركب لمعالجة المرضى و المعطوبين .
- دماجي : نوتي الإشارة .
- مسترداش : النجار .
- برقا نجي : معلم الشراعيين .
- باش الطريق : رئيس فرقة الانكشاريين المرافقين للمركب ومهمته الإشراف على المجدفين والهجوم على مراكب الأعداء خلال المعارك و المواجهات البحرية .
- الجلفاط : مكلف بدهن السفينة [2].

- دار الصناعة البحرية :

كانت مساحة دار الصناعة البحرية تقدر بعشرين مترا طولا وخمسة وعشرون عرضا " 500 متر مربع " مع ارتفاع يقدر لمتر وخمسين سنتمترا ، وكان الجزء الغربي من الميناء مخصص لصناعة المراكب الكبيرة وعند إعادة تهيئة المكان الذي كان جزء من هذه الورشة يرتكز عليه وبعد هدم أجزاء مضافة من الفترة المعاصرة بين 1999 م ظهرت جدرانها التي تدعم الصخر المشيد عليه القسم الأسفل من المدينة وهذا الجزء يظهر ما يسمى اليوم بالميناء الجاف[3] .

(1)- علي خلاص ، مرجع سابق ، ص180 .

(2) - مولاي بلحميسي ، مرجع سابق ، ص53-54 .

(3)- علي خلاص ، مرجع سابق ، ص288 .

كان هذا المصنع يتم العمل الإنشائي للسفن التجارية و الحربية من جهة وتتم جزأرة المراكب التي تجلب كغنيمة قبل أن تعود إلى البحر بخصوصيات فنية وتقنية جزائرية إذا كانت توازي أعمال الانجاز ورشات لتكوين الرياس حيث يشير بعضهم إلى أن دار الصناعة استطاعت أن تخرج في القرن السابع عشر حتى 300 رايس .

وفي هذا يذكر " بيول" سنة 1686م أن بدار الصناعة يوجد خمسة مراكب في طور الإصلاح مركبان ذات 50 مدفعا و مركبان ذا 30 مدفعا وسفينة ذات 20 مدفعا يضاف إليها عدد من المراكب الأخرى في طور الانجاز تتمثل في :

- 2 مركبان تحمل 44 مدفعا و مركبات بـــ 30 مدفعا و 3 نوع قاليرا .
- 7 زوارق لنجور 11 بريقانتين و بين 15 و 16 عمارة تجارية .

كما يشير " دوقرافطون " سنة 1687 م أنه و بالإضافة إلى عدد المراكب الموجودة في الميناء هناك 4 سفن ذات 26 و 30 مدفعا بدار الصناعة البحرية و 6 لومانات ومجموعة من المراكب الصغيرة .

و في خضم استعدادات الجزائر لمجابهة الحملة الإسبانية 1773م أمر " محمد عثمان باشا " بالإسراع في إنشاء السفن لتعزيز الأسطول الحربي و أمر ببناء 500 زورق من نوع اللنجور[1].

أما " الحاج علي " فقد انشأ بدار الصناعة بلاندرة وكربيطا و غليوطة وهذا سنة 1806م وكان كاتبه أحمد باشا قد أنشأ 10 من الزوارق " اللنجور" الكبيرة ذات صاري واحد يحمل كل لنجور مدفعيين ، أما " مصطفى باشا " فقد أنشأ فركاطتين كبيرتين و انشأ 200 من اللنجور وعندما أتمهما أنشأ روج بلاندرات .

وأنشأ " حسن باشا " إثنين من البريقالتين واحد بأربعة وعشرين مدفعا و الثاني بستة وثلاثين مدفعا ، وانشأ زوج باندرات كل واحد يحمل 24 مدفعا [2] .

يشير هنا " علي خلاصي" إلى أن جميع أنواع السفن كانت تصنع في دور الصناعة بالجزائر وشرشال وعنابة وجيجل ولو أنه في القرن 19م لم يبق سوى دار صناعة الجزائر والباقي توقف عن العمل لعدة أسباب .

---

(1)- علي خلاصي ، مرجع سابق ، ص229 .

(2)- مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1766م-1791م ، تر : أحمد توفيق المدني ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010 م ، ص106 .

3- **الأسرى الأوربيون** :

نظرا لكثرة الغارات والهجمات والحروب بين الجزائر وقراصنة أوربا خلال ما يزيد عن ثلاثة قرون، فقد وقع الآلاف من الأسري من الطرفين وتمكن البحارة الجزائريون من أسر الآلاف من الرجال والنساء والأطفال ومئات من المراكب البحرية المختلفة الأنواع والأشكال والأحجام وتفنن كل طرف في استغلال ذلك لصالحه [1] .

و قدر عددهم بمدينة الجزائر وحدها بحوالي مليون نسمة طيلة القرن السابع عشر أي ما يعادل ربع سكان المدينة ، وكان هؤلاء الأسرى موزعين بين مصالح البايليك وسكان المدينة وجلهم كان يتوجب عليه قضاء الليل في سجون البايليك الأربعة التي أنشأت خصيصا لهذا الغرض منذ سنة 1607م ، وقد كان أغلب هؤلاء الأسرى يطلق سراحهم مقابل فدية معينة وبعضهم يعتنق الإسلام " 8000 اعتنقوا الإسلام في سنة 1634م من مجموع 25000 أسير" ومنهم من اندمج في السكان وأصبح عنصرا فعالا في المجتمع مثل الكثير من الباي لربايات الذين تولوا الحكم قبل عهد الباشوات وفي نهاية القرن 16 م وصل عدد كبير من الأسرى المسيحيين الذين أسلموا وحسن إسلامهم إلى مراتب عليا في الأسطول الجزائري و أصبحوا رياسا و قباطنة للمراكب البحرية الجزائرية ومنهم " مراد رايس الفرنسي " و" مراد رايس الألباني " و" فيرير رايس الجنوي" و"مراد باترابيلو الإسباني Patrapilo " و" مراد رايس الصغير اليوناني" و"حسن رايس الكريتلي" و"عمر رايس الرودسلي" و"سارد ميمات اليهودي"و"مامي الصقلي" [2] ، وفي عام 1589 م كان باشا الجزائر "خضر" من أصل مجري ومن بين 34 رايسا بحريا كان هناك تسعة عشرة مسلما من أصل أوربي أسلموا وكان الثلثان من المراكب الجزائرية من نوع الغليوطات يقودها رياس مسلمون من أصل مسيحي وفي عهد الداي "مصطفى باشا " " 1798-1805م" كان هناك مئات من الرياس من أصل مسيحي يعملون في البحرية الجزائرية [3] ، و هذا يدل على مدى تسامح الجزائر والإسلام بصورة خاصة الذي يجعل المسلمين كلهم سواء بغض النظر عن الأصل العرقي واللغة والبلد .

و ينتمي هؤلاء الأسرى الأوربيون المسيحيون إلى الجنسيات التالية : " إسبان وبرتغاليون وفرنسيون وانجليز ودانماركيون وفلامنكيون واسكتلانديون وهولنديون ايرلنديون جنويون وبنادقة وليفورنيون ونابيلون مجريون أمريكيون بولونيون وصينيون ويابانيون ومصريون وشوام وإثيوبيون " [4] .

---

(1)- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ص 198 .
(2)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص 137 .
(3)- مولاي بلخميسي، مرجع سابق ، ص 54-55 .
(4)- يحي بوعزيز، مرجع سابق ، ص 200 .

أما الأعمال التي كان يقوم بها هؤلاء الأسرى فهي تتوزع على الخدمات الاجتماعية والمهام الاقتصادية داخل مدينة الجزائر، وعلى الأعمال الفلاحية بفحص مدينة الجزائر هذا وقد كان عدد الأسرى يختلف من سنة إلى أخرى ، ففي عام 1556 م أسر الجزائريون 28 مركبا في مالقا وفي عام 1608 م هاجموا و أسروا 42 سفينة و 860 شخصا .

وفي عام 1609 م أسروا 36 سفينة و أسروا 632 شخصا .

وفي عام 1610 م أسروا 32 سفينة و أسروا 384 شخصا .

وفي عام 1611 م أسروا 20 سفينة و أسروا 384 شخصا .

وفي عام 1612 م أسروا - - - - - - و أسروا 380 شخصا إسبانيا.

وفي عام 1613 م أسروا 16 سفينة و أسروا 230 شخصا .

وفي عام 1614 م أسروا 35 سفينة و أسروا 467 شخصا .

وفي عام 1616 م أسروا 34 سفينة و أسروا 767 شخصا .

وفي عام 1617 م أسروا 36 سفينة و أسروا 1763 شخصا .

وفي عام 1618 م أسروا 19 سفينة و أسروا 1468 شخصا [1] .

المجموع : 339 سفينة و12239 شخصا .

و من أشهر هؤلاء أسرى نذكر على سبيل المثال :

1. العالم اليوناني "بيار جيل" أسر في سنة 1564م أثناء قدومه من فرنسا إلى اليونان في بعثة علمية بطلب من الملك فرنسوا الأول .

2. بطل مقاطعة " فلوريدا دومينيك غورك " أسر أثناء سفره من أوربا إلى أمريكا 1558م .

3. الرسام الايطالي الشهير" فرا فيليبو ليبي " وقع في الأسر عام 1435م .

4. الكاتب الايطالي " ايمانويل أراندا دوبروج " أسر أثناء سفره من فرنسا إلى إسبانيا سنة 1640م .

5. الشاعر الهزلي الفرنسي صاحب القصة المعروفة بالبروفنسية الجميلة " رونيار Regnard " أسر عام 1678م .

6. الكاتب الاسباني الشهير"ميكال سرفانتيس" بقي في الأسر بالجزائر من 1775إلى 1780م.

7. العالم الفرنسي " جان فيان " أسر عام 1674م عندما كان في رحلة علمية لدراسة النقود بتكليف من الملك الرابع عشر[2].

(1)- ويليام سبنسر ، مرجع سابق ، ص 130 .

(2)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 169 .

III) - دور البحرية الجزائرية داخليا :

- الدور السياسي :

إن الحديث عن دور البحرية الجزائرية هو الحديث عن دور طائفة رياس البحر التي كانت تمثل القوة الضاربة في البحرية خصوصا و في الجزائر عموما .

عرفت طائفة الرياس أحسن أوقاتها خلال القرن 16 م حيث سيطرت على المجال السياسي فقد برزت البايلر بايات من رياس البحر أمثال " خير الدين بربروس ، صالح رايس ، حسن بن خير الدين ، علج علي... " ، وقد أثروا على نظام الحكم ، إذ تزايد نفوذهم بفعل أرباح الجهاد البحري على حساب فرق الأجاوق في الفترة التي عرفت ازدهار البحرية "1518 م-1671 م" وكان الدايات أيضا يختارون من رياس البحر "1659 م-1671 م" وعندما ضعفت البحرية و قلت أهميتها أصبح الدايات يعينون من ضابط الجيش البري المكون من فرق الأوجاق التي تشكل النوبات [1] .

كما تم للجزائر في هذا العهد تحقيق وحدتها الإقليمية و السياسية لأن البايلر بايات اهتموا بمد نفوذهم وسيطرتهم إلى كل جهاتها في الشرق و الغرب و الجنوب [2].

و قضوا على كل الإمارات والسلطانات المحلية كالدولة الزيانية بتلمسان والإمارات الحفصية في قلعة بني عباس وقسنطينة وعنابة و إمارة جبل كوكو بالقبائل، و يعتبر صالح رايس بطل تحقيق هذه الوحدة لأنه هو الذي اجتهد في مد نفوذ الأتراك إلى الواحات بالجنوب .

كما وضع البيلربايات أسس الجزائر الحديثة، إذ عزوزا نفوذ السلطة المركزية ، وعرفت الجزائر حدودا ثابتة وعاصمة رسمية ، ففي عهد "حسن بن خير الدين" وضعت الأسس الأولى للتنظيمات الإدارية الحديثة، إذ قسم البلاد إلى مقاطعات عرفت بالبايليكات " بايليك التيطري بايليك الشرق بايليك الغرب " وحضت الجزائر بنظام خاص عرف بدار السلطان ، وسعوا إلى تطهير الجزائر من الوجود الإسباني .

ثم اهتموا بتحصين البلاد وما دام الخطر يأتي غالبا من البحر فقد عززوا الدفاعات البحرية فقد هدم خير الدين حصن البنيون 1529م و بني ما عرف " بحوض خير الدين " لتامين السفن من الرياح الشمالية الغربية وحوض السفن من أي خطر، أما المدينة فقد تم تحصينها بالأسوار والأبراج وحفر الخنادق ، عرفت الجزائر الاستقرار السياسي في عهد الدايات كذلك لأن الجيش الانكشاري ابتعد عن التدخل في الحياة السياسية .

---

(1)- عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص96 .

(2)- يحي بوعزيز، مرجع سابق ، ص 830 .

حيث دامت ولايـــة أول داي إحدى عشرة سنة "1671 م-1682 م" وهي فترة طويلة إذا قورنت بعهد الأغوات بالإضافة إلى أن نهايته لم تكن مأساوية بل اعتزل السلطة [1].

في عام 1710م ارتقى الداي "علي شاوش" السلطة فبادر إلى إلغاء منصب الباشا ممثلا للسلطان حتى يضع حدا نهائيا لازدواجية السلطة ، إن قوة الحجة لدي " علي شاوش" مع الهدايا الفاخرة أقنعت السلطان بوجهة نظره ، ومنذئذ أقر السلطان الأمر الواقع وأضحى حكام الجزائر يجمعون بين منصب أمير الأمراء و الداي بشخصهم وغدا يستعمل في الفرمان الوارد من اسطنبول : " إلى أمير الأمراء الغرب ودايها " ، عمل الدايات الذين تولوا السلطة خلفا للداي "علي شاوش " على الحفاظ على ما حققه هذا الأخير حيث تمسكوا بمبدأ الاستقلال عن الباب العالي : " إذ عارضوا كل محاولة للتدخل في شؤون الجزائر" [2] .

(1)- عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص100 .
(2)- عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص100 .
(*)- تم الاستقلال عن الباب العالي عام 1700 م ودام لغاية 1830 م " نهاية الوجود العثماني بالجزائر " .

- الدور الاقتصادي :

أ/ الغنائم البحرية :

تكاثرت في الفترة الأولى للعهد العثماني، ثم أخذت تتناقص حتى كادت تتلاشى في القرن الثامن عشر، ثم عرفت مع نهاية العهد العثماني نموا ملحوظا مع محاولة تطوير البحرية وزيادة نشاطها الحربي خاصة في فترة اشتغال أوربا بحروب الثورة الفرنسية و حروب نابليون .

هذا يمكن أن نتعرف على تطور الغنائم البحرية التي كانت تأخذ منها الدولة الخمس " البنجق" ويوزع الباقي " الفيء" على أصاحب السفن المساهمين في تجهيز الأسطول باستعراض عدد الغنائم حسب السنوات التالية :

- 1628م،1634م : تم استيلاء أثناء الحرب ضد فرنسا على 80 سفينة أسر بها 1331 شخصا مما جعل قيمة مجمل الغنائم في تلك الحرب ترتفع إلى حوالي 4752000 جنيه .

- 1737م،1799م : استولى البحارة الجزائريون على 376 سفينة منها 16 سفينة برتغالية أسرها الرايس حميدو عام 1797م بها 118 أسيرا و في سنة 1785م أسرت بعض السفن الجنوية والبندقية و النابوليتانية قدرت غنائمها بخمسة وسبعين مليون فرنك.

- 1800م،1802م : قدر عدد الغنائم حوالي 575152 فرنكا وتم الاستيلاء على 20 غنيمة منها 19 نابوليتية بالإضافة إلى سفينة برتغالية أخرى استولى عليها الرايس حميدو مجهزة بـــ44 مدفعا و يقدر ثمنها بـــ 194231.25 فرنكا [1] .

- 1805م،1815م : قدرت الغنائم بـــ 8 ملايين فرنك منها 1800 أسير و 30 سفينة .

- 1825م : بلغ عدد الغنائم 8 سفن أغلبها هولندية وإسبانية وانجليزية قدرت قيمتها بحوالي 770415.74 فرنكا .

كانت غنائم الجهاد تأتي من ثلاث مصادر أساسية حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، ومبالغ افتداء الأسرى، والجزيات " الهدايا والإتاوات " التي تدفعها مختلف الدول الأوربية تحت تدابير لحماية سفنها، وهناك مصدر رابع كان يحل عليه من المؤسسة البحرية بذاتها ، وذلك من خلال الإذن بإرسائها ورسوم إعادة ترميم و تصليح السفن و ورشات بناء السفن [2] .

ظلت غنائم الجهاد البحري لمدة طويلة موردا للرزق ومصدر للثورة وعاملا حاسما في تنشيط الاقتصاد بالجزائر العاصمة ، فقد كانت مهنة مريحة في نظر كثير من المؤرخين المحدثين تنال الدولة من غنائمها حصة تتراوح بين التسع والعشر، وتحظى بـــ 12% من أسعار السفن

(1)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 139 .
(2)- حنفي هلايلي، مرجع سابق ، ص 68 .

المحتجزة وتضع تحت تصرفها كل الأسلحة المصادرة في عمليات القرصنة باعتبارها غنائم حرب مشروعة ، كما أنها تنال قسط وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوربيين*[1] .

والجدول التالي يوضح لنا سجل الغنائم ما بين 1793م- 1815م [2] :

التاريخ	مجموع الغنائم بالفرنكات	عدد الغنائم
1207هـ / 1793م	1 352 315,45	15 غنيمة
1208هـ / 1794م	1 204 366,36	3 غنائم
1209هـ / 1795م	310 398,47	8 غنائم
1210هـ / 1796م	202 811,61	8 غنائم
1211هـ / 1797م	1 294 269,72	22 غنيمة
1213هـ / 1798م	1 510 528,69	42 غنيمة
1214هـ / 1799م	1 583 482,47	31 غنيمة
1214هـ / 1800م	523 523 482,47	19 غنيمة
1215هـ / 1801م	340,318	4 غنائم
1217هـ / 1802م	575 152,74	20 غنيمة
1218هـ / 1803م	43 187,62	/
1219هـ / 1804م	272 850,11	9 غنائم
1220هـ / 1805م	190 433,24	8 غنائم
1221هـ / 1806م	283 439,36	3 غنائم
1222هـ / 1807م	357 294,36	10 غنائم
1223هـ / 1808م	297 105,81	10 غنائم
1224هـ / 1809م	114 496,86	7 غنائم
1225هـ / 1810م	171 347,62	/
1226هـ / 1811م	513 137,23	4 غنائم
1227هـ / 1812م	120 136 675,36	12 غنيمة
1228هـ / 1813م	1 720 392,74	3 غنائم
1229هـ / 1814م	1 957 132,86	12 غنيمة
1230هـ / 1815م	1 352 415,74	8 غنائم

(*)- مما يدل على أهمية المبالغ المالية لافتداء الأسرى المسجين أن أسبانيا وحدها كانت تدفع سنويا ما قيمته 60 ألف قرشا لافتداء مجموعة من الأسرى بين 200 و 300 أسير .

(1)- نصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني ، مرجع سابق ، ص 78 .

(2)- حنفي هلايلي، مرجع سابق ، ص 69 .

IV) - مكانة البحرية الجزائرية دوليا :

كانت الجزائر أقوى دول المغرب العربي الإسلامي بسبب كبر مساحتها وطول سواحلها وغناها الاقتصادي ووفرة تجارتها مع الخارج ، وكانت علاقتها مع الخارج أوسع مدى و كلمتها أكثر تأثيرا في الحرب والسلم وأكسبها هذا الموضوع صفة الزعامة على سائر نيابات المغرب الأخرى و اعترفت دول أوربا لها بذلك .

و مصدر قوة الجزائر في العصر الحديث يرجع إلى وعيها الكامل بالأخطار الأوربية المحدقة بها واهتمامها الكبير بإعداد نفسها لمواجتها سياسيا وعسكريا واقتصاديا وفعالية موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يتحكم في معظم الحوض الغربي للمتوسط و اهتمامها ببناء قوة عسكرية بحرية رادعة كأداة لفرض إرادتها على الخصوم تتمثل في البحرية و قوة الأسطول الذي مكنها من القيام بدور موجه في الأحداث العالمية لهذا الحوض المائي الحيوي الهائل ، وأخذت الدول الأوربية تدفع لها الضرائب والهدايا أكثر مما تدفعه لتونس وطرابلس بعد استقلالها في القرنين 17م و18م وأصبحت تهابها وتبرم معها معاهدات السلم و الصداقة حتى تتجنب نقمتها وغضبها [1] .

يقول "وليام شالر" قنصل أمريكا بالجزائر" 1816 م- 1824 م" ما معناه : " لقد بلغ الجزائريون في هذا الوقت إلى أوج قوتهم و سمعتهم حتى أن أعظم الدول البحرية الآن تطلب صداقتهم ، إن الجزائريين اليوم يتباهون بأن عظمة بحريتهم لا تماثلها بحرية بريطانيا العظمى " [2] .

و يقول "شارل أندري جوليان" : " يرجع تفوق الجزائريين لا إلى ملائمة سفنهم و مراكبهم الشراعية مع حرب القرصنة فحسب ، بل إلى تدرب الجدافين وانضباطهم الحازم " [3] .

يقول " دي غرامون" : " لقد ظلت الجزائر طيلة ثلاثة قرون رعب النصرانية وكارثتها ، فلم تنج واحدة من المجموعات الأوربية السنوية ثلاثة أرباع أوربا ، بل وحتى الولايات المتحدة الأمريكية " [4] .

---

(1)- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، د.م.ج. (د.ط) ، الجزائر ، 1999م ، ص ص 52- 54 .

(2)- ويليام شالر ، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر "1816م -1824م " ، تعريب وتعليق : إسماعيل العربي ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1982 م ، ص 120 .

(3)- شارل أندري جوليان ، مرجع سابق ، ص 334 .

(4) – D. Grammont , Ibid. p 1 .

- فرض الإتاوات و الهدايا الإلزامية :

فرضت الدولة الجزائرية على الدول الأوربية المتعاملة معها تجاريا إتاوات مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وإعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة منها تخفيضات معتبرة على الرسوم الجمركية وهذا ما ينفي صفة اللصوصية أو القرصنة أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية والتي حاول الكتاب الأوروبيون إلصاقها بالبحارة الجزائريين لتبرير تحرشاتهم والتمهيد لاعتداءاتهم ومما يلاحظ أن هذه الإتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات وهذا ما يوضحه الجدول التالي [1] :

البلد	تعيين قيمة الإتاوات
إسبانيا	كانت تساهم بما قيمته 48000 فرنك سنة 1807م وبعد توقيعها على هدنة سنة 1785م وانسحابها من وهران ألزمت بدفع 18000 فرنك
توسكانيا	ألزمت قبل سنة 1823م بدفع ما قيمته 25000دوبل أو 250000 فرنك
البرتغال	كانت ملزمة بدفع ما قيمته 20000 فرنك عام 1822م
سردينيا	أرغمت على دفع 126000 فرنك إثر معاهدة 1746م
فرنسا	كانت تدفع قبل سنة 1790م ما قيمته 37000 جنيه وبعد سنة 1790م تعهدت بدفع 27000 قرش أي 108000 فرنك وفي سنة 1816م ألزمت بدفع 200000 فرنك
انجلترا	تعهدت في سنة 1807م بدفع 100000 قرش أو 267500 فرنك مقابل نيلها بعض الامتيازات
هولندا	التزمت بعد معاهدة سنة 1826م بدفع 10000 سكة جزائرية وفي سنة 1807م دفعت ما قيمته 40000 قرش أو 160000 فرنك
النمسا	قدرت قيمة الإتاوات التي تدفعها في سنة 1807م 200000 فرنك
الو.م.أ	دفعت في سنة 1795م ما قيمته 1000000 دولار منها 21600 دولار في شكل معدات مقابل الامتيازات الخاصة
مملكة نابولي	دفعت في سنة 1816م إتاوات 24000 دورو فضية
النرويج	دفعت في سنة 1822م إتاوات 12000 فرنك كل سنتين
الدانمارك	دفعت في سنة 1822م إتاوات 180000 فرنك كل سنتين
السويد	دفعت في سنة 1822م إتاوات 110000 فرنك كل سنتين

(1)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 140 .

هذا بالإضافة إلى الإتاوات الموظفة على بعض الدول الأخرى والتي يتوجب دفعها في بعض المناسبات وهي تخص دويلات " بريمن وهانوفر وبروسيا بالإضافة إلى دولة البابا " [1] .

يرى المؤرخ الأمريكي " ويليام سبنسر" أن الضريبة * كانت مفتاح العلاقات الجزائرية الأوربية أن أوربا كانت ملزمة بدفع الجزية لأنها لم تطور سياسة أمن جماعي حقيقي ضد الجزائر ، فكانت الجزية المدفوعة بمثابة حماية فردية ، وكانت امتياز للقوى الأوربية الصغيرة التي تعتمد في حياتها على التجارة السلمية و قد طلبت الجزائر في هذا المجال سياستها التقليدية اتجاه أوربا فرق و ازدهار[2] .

(1)- حنفي هلايلي، مرجع سابق ، ص 71 .

(*)- **الضريبة** : كلمة تعني ما تدفعه الدول في مقابل حماية سفنها بالهدايا و المدفوعات السنوية ، انظر مصدر : إسماعيل العربي ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة " 1776م- 1816م" ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1978م ، ص 52 .

(2)- ويليام سبنسر ، مرجع سابق ، ص 147 .

- إنقاذ الأندلسيين المضطهدين :

نشأت البحرية الجزائرية تحت شعار الإنقاذ الوقوف إلى جانب الشعوب المظلومة ولم تضع موازين تفرقة بين الشعوب الإنسانية سواء على خلفية الدين أو العرق ، وكانت الجزائر تستعمل تفوقها البحري بدافع الوعي بمسؤوليتها الدولية عن الأمن والسلم في البحر ونصرت قويا على ضعيف لكنها تصارع الدول الكبرى و تفرض عليها معاهدات السلم [1] .

فتحملت البحرية الجزائرية هذا المبدأ ، وإنقاذ الأندلسيين بشتى طوائفهم من تلك الإبادة الجماعية التي تعرضوا لها خاصة بعد سقوط غرناطة " 1492م-897هـ" هذه النكبة الجماعية التي وصلت بشاعتها إلى حد تقنينها بالمراسيم والأوامر الملكية، قانون الجريمة الإنسانية القاضي بتحريم المسلمين وتحريم إقامة شعائرهم الدينية و إغلاق المساجد كما قام الكاردينال " خيمينيس" بإحراق عشرات الآلاف من الكتب [2] ، وقد رحل عن غرناطة أزيد من ثلاثمائة أندلسي وأعتبر الباقين متنصرين وأطلق على هؤلاء اسم " النصارى الجدد" .

و لم يكف الأندلسيون طيلة محنتهم عن طلب النجدة من قبل المسلمين وقاموا بإرسال وفدين الأول إلى السلطان العثماني " بايزيد الثاني" " 1447م-1512م" قبل سقوط غرناطة بخمس سنوات أما الوفد الثاني أرسله الأندلسيون إلى الدولة المملوكية في مصر و التي لم يستطع قائدها الأشراف "سيف الدين قايتباي" " 1468م-1496م" وسيلة للنصرة سوى إرسال وفد إلى البابا ثم إلى الإسبان لإبلاغهم بأنه يوجد مسيحيون في الشام ومصر لا أحد يتعرض لحريتهم إلا أن الإسبان و البابا لم يهتموا بهذا التحذير، ومضوا في مخطط الإبادة الذي بدأوه .

إلا أن العبء الأعظم في إنقاذ الأندلسيين تحملته الدولة الجزائرية الناشئة حديثا، كان خير الدين قبل ذلك قد عمل في ميدان الإنقاذ ، ولم يكن عندئذ إلا رئيس سفن من المجاهدين ، فكيف به الآن وهو على رأس دولة قوية مجاهدة و على رأس أسطول ذاع صيته [3] .

و قد تمت الاستجابة لذلك عبر ثلاث مخططات يهدف أولهما إلى إنقاذ الأطفال والنساء والمشردين الذين حوصروا وطردوا من الأندلس وأصبحوا بين خيارين إما أن يبادوا داخل وطنهم وإما أن يهاجروا ويتركوا الأوطان نحو بلاد المغرب [4] .

---

(1) - مولود قاسم نايت بلقاسم ، مرجع سابق ، ص69 .

(2) - لوي كارديناك ، الموريسكيون و الأندلسيون و المسيحيون ، تر : عبد الجليل التميمي ، ط2، 1989م ، ص69 و ما بعدها .

(3) - أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص208 .

(4) – مصطفى داودي ، دور البحرية الجزائرية في القضايا الإنسانية الخارجية بين القرنين 15م و 19 م ، أعمال الملتقى الدولي الأول حول الموانئ الجزائرية ، جامعة الجزائر ، 2009 م ، ص8 .

و قد استمر هذا المخطط طيلة القرن 16م وذلك بواسطة الأسطول الجزائري الذي كان يقوم بحملات بحرية علنية وسرية لترحيل الأندلسيين نحو الجزائر حيث أرسلت سنة 1528م حملة بقيادة القائد " صالح رايس" و" أيدن رايس" لإنقاذ ستمائة من مسلمي بلنسيه المضطهدين عند مصب نهر " أوفيلا " وقد خاضوا معركة بحرية عنيفة ضد البحرية الإسبانية في مياه الجزائر الشرقية " الدليار" وفي سنة 1584م قام القائد " حسن فنزيانو" بنقل حوالي ألفي أندلسي إلى الجزائر من نواحي " أليكانت" [1] ، وكان من أبرز تلك الحملة التي قادها خير الدين بنفسه، حيث ذهب في ستة وثلاثين سفينة من ناحية الأندلس نقل فيهم عدد كبير من الأندلسيين إلى الجزائر وتكررت عملية الإنقاذ هذه سبع مرات متتالية ، حتى بلغ ما نقلته سفن خير الدين لوحده نحو سبعين ألف أندلسي وبالجملة فإن عدد الأندلسيين المطرودين حسب رواية المؤرخ الإسباني " نافارتي" بلغت خمسة ملايين نسمة منهم ملونان من اليهود ، وقد كان عدد سكان إسبانيا كلها يومئذ ثمانية ملايين نسمة [2] .

أما المخطط الثاني فكان يقوم على توفير المتطلبات المادية للأندلسيين المحاصرين والتكفل بأولئك الفارين والمرحلين من بلادهم ، حيث أن خير الدين ومن ورائه الشعب الجزائري قد أكرم الأندلسيين ووسع لهم في أرض الجزائر وتركوا أحرارا في اختيار البقاع والأماكن الصالحة لسكنهم ومزاولة حرفهم .

أما المخطط الثالث فكان شعاره دعم المقاومة الأندلسية وخاصة ثورة جبال " البشرات " التي اندلعت في 15 أفريل 1568 م ، والتي قادها في البداية " فرج بن فرج " والذي خرج في مائتين من المسلمين وفتكوا بحامية الحمراء [3] ، ثم لجئوا إلى جبال البشرات وكانت مطالبهم فيها للنصارى المحتلين تمثل الحد الأدنى من الحقوق والمتمثلة في إلغاء القوانين الظالمة وكانت البحرية الجزائرية حاضرة لدعم هذه المقاومة حيث أرسل سنة 1568م القائد " علج علي" لينظم حرب العصابات بجبال البشرات وفي العام الثاني أرسل إليه من الجزائر العتاد والذخائر مع المتطوعين الانكشاريين لمساندة مجاهدي الأندلس وبالتزامن مع ذلك كانت البحرية تقوم بحملات نحو السواحل الإسبانية قصد الضغط على الإسبان وإضعافهم وكان من أبرز تلك الحملات حملة علج علي سنة "1569م-1570م" الذي قام بضربات متكررة خلال هذه السنة على السواحل الإسبانية ومالطا ، إضافة إلى حملة وغارة البحرية لسنة 1581م " مراد رايس " على لورقة و إلحاقه خسائر جسيمة بالسواحل الإسبانية سنة 1625م .

(1)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 203 .
(2)- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،ج3، ط2 ، د.م.ج ، 1982 م ، ص 56 .
(3)- عادل سعيد الشناوي ، الأندلسيون المواركة ، مطابع انترناشنيول ، القاهرة ، 1983 م ، ص 190-191 .

وقد أتبعها هذا القائد بحملته الشهيرة سنة 1617م على جزيرة "ماديرة " في المحيط الأطلسي والتي عاد فيها إلى الجزائر بأجراس كنيستها وذلك إذلالا للبرتغال[1] .

- مساهمة البحرية الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانية :

عرفت البحرية الجزائرية خلال فترة العثمانية مرحلتين متباينتين في علاقتهما مع الدولة العثمانية وبالتالي مع دول أوربا مرحلة التحالف أو توافق المصالح ومرحلة تناقض المصالح فخلال الفترة الأولى كانت المصالح مشتركة بين البحرية والدولة العثمانية إذا كان الخطر المشترك هو الخطر الإسباني لذا تظافرت الجهود للقضاء عليه ، فكانت مجموعة من المعارك في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ميلادي .

فقد استدعت الدولة العثمانية بايلر باي الجزائر " خير الدين باشا " في 1536 م وكلفه بقيادة الأسطول العثماني وغادر الجزائر مع خيرة بحارته ، وقد أدى تطور العلاقات الدولية واحتدام الصراع بين الدولة العثمانية وإسبانيا إلى حدوث سلسلة من الحروب الكبرى منها معركة "بريفيزا" 1538م*، التي انتصر فيها الأسطول العثماني ، و ما أنجزته الحكومة الجزائرية مع ملك فرنسا "فرانسوا الأول" حينما استنجد بها لدفع غارات شار لكان وحملاته على الساحل فرنسا الجنوبي فأجندته الجزائر مرتين بأسطولها كانت الأولى 1536م والثانية سنة 1543م حيث فك خير الدين الحصار المضروب على مدينتي نيس وطولون[2] .

أما عام 1571 م معركة " ليبانت Le Pant " ** البحرية بين الدولة العثمانية و" الحلف المقدس La Sainte Alliance " المتكون من البابوية و إسبانيا و البندقية بسواحل اليونان يوم 17 أكتوبر 1571م وقد لعب الأسطول الجزائري بقيادة " علج علي" دورا لامعا في إنقاذ البحرية العثمانية من الهزيمة واستطاع أن ينقذ الجناح الذي كان تحت قيادته و عاد به إلى الجزائر با أكثر من ذلك فقد تمكن " علج علي" - بايلر باي الجزائر- من إعادة إنشاء الأسطول العثماني المحطم خلال المعركة ، كما أسر بعض السفن المسيحية ومنها السفينة التي تحمل علم البابا [3] .

---

(1)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 205 .

(*)- **بريفيزا** : تواجهت فيها الدولة العثمانية من جهة و الحلف المقدس عن الجانب المسيحي انتهت لصالح العثمانيين وفتح الباب على مصراعيه لتنامي النفوذ العثماني بالمتوسط ، وشلت الجانب المسيحي لمدة تزيد عن ثلاثين سنة ، انظر مصدر: عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 52 ، و (أنظر الملحق رقم : 01) .

(2)- عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 100 .

(**)- للمزيد من التفاصيل أكثر حول معركة ليبانت ودور علج علي باشا أنظرا مصدر : محمد سي يوسف، مرجع سابق .

(3)- محمد سي يوسف، مرجع سابق ، ص 75 .

إن دوره في ليبانت جعل السلطان يمنحه لقب قلج " السيف" وعينه في منصب قبطـــان بـــاشا " قبطان داريا * "و بقي فيه حتى وفاته 1578 م .

فقد كان حصار مالطا** في عام 1556م بأسطول عثماني مشترك قوامه 4500 جندي و180 سفينة و63 مدفعية بقيادة " درغوت مصطفى بيالي " ، وبعد مقتل درغوث و وصول الإمدادات المسيحية رفع الحصار عن الجزيرة رغم استيلاء البحرية العثمانية على حصن " إلم" ، وحصن "سان ميشال" [1].

و قد توجه قطع من البحرية الجزائرية لمحاربة قوة البندقية في عام 1630م بطلب من السلطان "مراد الرابع" " 20 سفينة بقيادة علي بتشييني*** " وبعدها جمعتها سواحل الأدرياتيك ألحقت بها الهزيمة وخسرت القوة الجزائرية عدد كبير من بحارتها و انسحب الباقي ، وكان لذلك تأثير سيء على مكانة طائفة الرياس في الجزائر.

بالإضافة إلى المشاركة في المعارك البحرية التي خاضتها الدولة العثمانية ضد روسيا في عام 1774م منها معركة بحرية بسواحل اليونان بقيادة الرياس" علي بن يونس والحاج محمد والحاج سليمان " و معركة " ليموس" 1770م ألحق فيها الرايس حسن الهزيمة بقطع من الأسطول الروسي بقيادة الأميرال أورلوف .

أما الفترة 1821م-1826م مشاركة قطع بحرية جزائرية مع الأسطول العثماني في حرب اليونان[2] ، بالإضافة إلى مشاركة قطع من الأسطول جزائري في معركة " نافرين" بسواحل اليونان عام 1827م .

(*)- **قبطان داريا :** قبطان باشا Kaptani Derya الاسم الذي يطلق على اكبر منصب بحري في الدولة العثمانية وهو أمير لبحرية الكبير ورئيس الأسطول العثماني ، أنظرا مصدر : سهيل ضابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، س3 م.م.م.ف.و ، الرياض 2000 م .

(**)- **حصار مالطا :** شكلت مالطا خطر كبيرا على الملاحة الإسلامية منذ منحها من طرف شار لكان لقراصنة رودس 1530 م لذا قرر السلطان سلطان القانوني تطهيرها من القراصنة كما ظهر رودس من 1522 م غير أن مسعاه خاب ولم تفتح الجزيرة ، أنظرا مصدر : عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 108 .

(1)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 205 .

(***)- **علي بتشتيتي** : كان بند قيا من البندقية ، إسمه بتشينو Piccinio وصل إلى الجزائر يقود سفينة قرصنة كان قد أبحر بها من الأدرياتيكي ، إعتنق الإسلام وسرعان ما صعد إلى طائفة الرياس لجرأته وشجاعته ، وقد جعلته غنائمه غنياء و استثمر أمواله في بناء سفن أخرى لحركة الجهاد البحري ، انظر مصدر: جون ب.وولف ، مرجع سابق ، ص193 .

(2)- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ، ص 152 .

- طريق الغزو الذي سلكه الجزائريين :

إن الطريق الذي تسلكه السفن الجزائرية عند خروجها هو الاتجاه نحو الشرق محاذاة شواطئ البلاد البربرية حتى أعالي جزر الأرخبيل ومملكة كاندي وعندما ينزلون في بحار صقلية و في خليج البندقية ثم العودة إلى بحر يولى... وبروفانس وجزر كورسيكا وسردينا ومينوركا ومنها تعود أدراجها إلى الجزائر.

يقوم بهذه الغزوة عادة سفينتين وفي الماضي كانت تقوم بها أربعة سفن وتقوم بتقسيم ما تستولي عليه من الغنائم بالتساوي فيما بينها وتستغرق عادة في هذه الغزوة اثنان وخمسين يوما إلا إذا أمرها الديوان بالتوجه إلى أقاليم السلطان لتجنيد العساكر الرتب .

و الطريق الثاني الذي تتبعه عند الخروج من الجزائر هو القيام بالاستطلاع في أعالي برشلونة فلانس وأليكانت ومالاقا ومنها تجتاز المضيق للتوجه إلى أعالي قادش وطنجة و تتوجه لهذه الغزوة ما بين ست وثماني شفن التي تتوزع إلى قسمين ، فالقسم الأول يقوم بالتجول على طول السواحل الإسبانية والبرتغالية من رأس سان فاس إلى راس فينستير، والقسم الثاني يبقي مبحرا في المياه العالية لمطاردة السفن التي يصادفونها، وفي وقت مضى كانوا يقومون " البحارة الجزائريين" بالنزول بواسطة القوارب على ساحل غليسا و يؤسرون عددا من الناس الذين يسترقونهم [1].

- أسباب قوة البحرية الجزائرية :

تعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب منها :

1. الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوربا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم وهو الأمر الذي جعلها طيلة الفترة العثمانية محط أنظار وصراع بين دول ضفتي شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط حتى أطلق عليها أسم " الجمهورية و المنصورة و دار الجهاد " [2] .

2. الظروف الدولية الملائمة و المتمثلة في التنافس بين الدول الأوربية و ما انجر عن ذلك من صراع وتوترات مثل العداوة بين فرنسوا الأول ملك فرنسا والإمبراطور شارل الخامس "1516م-1556م" عاهل إسبانيا وجرمانيا وكذلك التنافس الهولندي الفرنسي الانجليزي فيما بعد على اكتساب المستعمرات والسيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

(1)- جمال قنان ، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830م ، (ط.خ) ، (د.م) ،2007م ، ص 108 .

(2) – Moulay Belhmissi , Op.cit . p 33 .

3. تجنيد الأوربيين في البحرية الجزائرية و الذين أصطلح على تسميتهم "الأعلاج " وهذا ما سمح لكثير منهم بتبوء منزلة مرموقة ومكانة عالية بعد اعتناقهم الإسلام وارتباطهم بالجزائر ، رغم أصولهم المختلفة " إغريق، إسبان، كرسيكيون، سردانيون، فرنسيون..." وقد كان الأعلاج يشكلون حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في الأسطول الجزائري ، حيث أن ستة وثلاثين رايسا كانوا يقودون السفن بأكثر من خمسة جدافا كان اثنان وعشرون منهم من الأعلاج [1] .

4. الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد انهيار الأندلس وحلول الإسبان السواحل وقد كان في طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى أهالي المدن الساحلية و على رأسهم جماعة الأندلسيين وممن التحق بهم من الأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام وكانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلدانهم من جراء النظام الإقطاعي و الاستبداد الملكي السائد أنذلك بالبلاد الأوربية .

5. استخدام البحارة الجزائريين الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتجاء إلى الغرات المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجماتهم و كذلك امتلاكهم السفن المتطورة والقادرة على الإبحار في أعالي البحار المعروفة بالسفن المستديرة ، فضلا عن تمكنهم من صناعة الأنواع الأخرى من السفن المعروفة بالكارفات و الشالوب والقاليوطة و الفرقاطة .

6. مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة من هؤلاء نذكر على سبيل المثال الأخوين " بربروس عروج وخير الدين، درغوت باشا، صالح رايس، أرناؤوط مامي، علج علي، علي بنشيني، حسن فنزيانو، الرايس حميدو، الرايس مراد الارناؤوطي، وغيرهم " [2] .

(1)- جون . ب وولف ، مرجع سابق ، ص 183 .
(2)- نصر الدين براهامي ، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني ، منشورات ثالة ، الجزائر ،2010م ، ص 81 .

الفصل الثاني

الثورة الفرنسية 1789م - 1793م ونتائجها

I)- الأوضاع العامة في فرنسا قبل قيام الثورة الفرنسية :

لقد اعتبرت القرون الوسطى حرية الفكر جريمة تنص لقوانين على عقاب صاحبها بمنتهى القسوة ، وما محاكم التفتيش إلا أبشع المنظمات الرسمية التي خلقها هذا القانون وهي محاكم نظمها وتولى شؤونها رجال الدين الذين أولوا أنفسهم حق الدفاع عن المعتقدات الدينية على أسلوب قاسي و وحشي ، فكل من كان يجرؤ على المناقشة ضربت عنقه بعد مقاساة تعذيب طويل ولطالما ضربت أعناق الكثيرين بأمر الملوك ورجال الدين " دفاعا " عن المسيح كما اصدر الملك " لويس الرابع عشر* " مرسوما يقضي بالموت على كل وزير يدين بغير الديانة الرومانية ، وأصبب حرية الفكر في كل ميادينها بنكبة مروعة [1] .

لقد كانت السنوات التي تقدمت عام 1789 م ، عهد أزمة اجتماعية وتأسيسية وشهدت مجرى أزمة سياسية خطيرة سببها عدم كفاءة الحكم الملكي المالية وكان الملك لويس السادس عشر رجل دون شخصية متعب من هموم الحكم ، ينشرح في الصيد ، كما ساهمت زوجة الملكة ماري أنطوانيت بموقفها اللا مبالي في الأزمة .

و سنتطرق أولا إلى الأوضاع السياسية ومن ثم إلى الاجتماعية و الإقتصادية .

أولا : الأوضاع السياسيـــة

كانت فرنسا ملكية بربونية مطلقة وهو نظام كان سائدا في الدول الأوربية ما عدا انجلترا- ولكن هذه الملكية الربونية كانت تستند في احتكارها لحكم والملكية الوارثية على الحق الإلهي .

أ- ملكية الحق الإلهي (الحكم المطلق) :

كانت الحكومة في فرنسا ملكية مطلقة بمعنى أن السلطة كلها كانت مركزة بيد الملك وأسندت في حكم البلاد إلى " الحق الإلهي " وهو أمر مفروغ منه لا يمكن أن يناقش على اعتبار أن الملك مفوض من الله لإدارة شؤون الحكم ، فكانت طاعة الملك واجبة وكلمته قانونا .

وقد كانت الملكية المطلقة التي استمرت عهدا طويلا في تاريخ فرنسا تتمتع بسلطان واسع ونفوذ قوى كانت تعتمد على عوامل عديدة من أهمها أنها منحت الشعب الفرنسي وحدة داخلية

(*)- **لويس الرابع عشر** : (1638م-1715م) هو احد أبرز ملوك البوربون حكم فرنسا مدة 54 عاما ، وهو يعتقد أنه مصدر السلطات الملكية المطلقة ، فهو صاحب الكلمة المشهورة " الدولة هي أنا " ، عالج الكثير من مشكلات الحرب الأهلية ، وتوصل إلى السلام مع إسبانيا عام 1659م خاض حروبا كثيرة أولها حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة " 1667م-1697م " غداة موت ملك إسبانيا " فيلب الرابع عشر " بحق زوجته - ابنة الملك قليب – بوراثة الأراضي المنخفضة ، ثانيها حربه مع هولندا " 1672م-1679م" وثالثها حرب البلاطينات " 1688م-1697م" أما رابعها فكانت حرب الوراثة النمساوية " 1701م-1712م " ، المصدر أنظر : .

(1)- جورج جرداق، بين علي و الثورة الفرنسية ، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ط)، المجلد الثاني، بيروت لبنان، 1998، ص13 .

عندما نجحت في القضاء على نفوذ الأشراف وسلطانهم فضمت إقطاعياتهم إلى بعضها، فأصبحت فرنسا بالتالي وحدة وطيدة الأركان [1].

كما منحت الملكية الشعب الفرنسي العظمة والمكانة المرموقة بين الدول ، تحقق ذلك أثناء القرن السابع عشر ، لكن لم تلبث فرنسا أن فقدت هذه المكانة في منتصف القرن الثامن عشر بسبب الهزائم التي نزلت بها على يد بروسيا (خصوصا عام 1757 م) وتعتبر هذه الهزيمة عاملا أساسيا في اندلاع حوادث الثورة .

كان من سوء حظ لويس السادس عشر*، أنه ولي عرش فرنسا إثر عهدين لم يكن الشعب الفرنسي راضيا عنهما فإن حروب لويس الرابع عشر قد أرهقت فرنسا وكلفتها أموالا طائلة ، ثم كان عهد لويس الخامس عشر فأهملت فيه شؤون فرنسا الداخلية والخارجية وأصبحت البلاد تحكم من طرف طائفة محاطة بالملك ، فلما آل العرش إلى لويس السادس عشر في عام 1774 م كانت فرنسا متضعضعة تقف على هاوية الإفلاس ، وقد كانت الآمال معقودة عليه لتحسين شؤون البلاد لم يكن لويس السادس عشر رجل الساعة فالبرغم من انه كان حسن النية والمقصد يحب شعبه إلا أنه يفتقر إلى الذكاء وحسن التصرف وقوة الإرادة [2] .

على أن هذا السلطة لا تستخدم دائما لمصلحة الشعب والبلاد ، فكثيرا ما كانت تصادر أملاك الأفراد ، ويطرح الناس في السجون أعواما عديدة بغير محاكمة ولا جريمة معينة ، وكثيرا ما كانت تساق البلاد إلى حروب لم تجن منها إلا الهزيمة والعار وكانت الأموال تبذر** في بناء القصور والدور ، وإجزال العطايا الباهظة للأصدقاء و الندماء حتى ناءت فرنسا بالديون والأعباء الفادحة وحقت عليها كلمة : " إن بلاط الملك هو قبر الشعب " [3] .

---

(1)- عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل ياغي،تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر،(د.ط)،السعودية، 1979ص 272.

(*)- **لويس السادس عشر** : الملك لويس السادس عشر اعتلى العرش سنة 1774م هو آخر ملوك فرنسا قبل الثورة الفرنسية ، قامت في عهده الثورة الفرنسية التي أدت إلى الإطاحة بالحكم المطلق ، متزوج من ماري أنطوانيت النمساوية ، عرف لويس السادس عشر بطيبة قلبه حبه الشديد في الرغبة في الإصلاح ، غير أن ضعف إرادته كان يفسد عليه رغباته الحسنة ، سنة 1776م ساعد الملك في الثورة الأمريكية فأرسل فرقة فرنسية بقيادة لافاييت لمساعدة الثوار الأمريكيين ، سنة 1793م حاول لويس السادس عشر الفرار من فرنسا رفقة زوجته ، لكن ألقى القبض عليه وتم إعدامهما بالمفصلة ، المصدر أنظر : قاسم محمد ، أحمد نجيب هاشم ، التاريخ الحديث و المعاصر ، دار المعارف ، (د.ط)، (د.ت) ، مصر ، ص 22 .

(2)- زينب عصمت راشد ، تاريخ أوربا الحديث في القرن التاسع عشر ، دار الفكر ، العربي ، (د.ط) ، (د.ت) ، القاهرة ، ص 27 .

(**)- بلغت نفقات البلاط الملكي عام 1789م نحو 230 مليون فرنك ، والمصاريف العامة 512 مليون فرنك و الإيرادات 745 مليون فرنك ، وكانت أرباح الديون الناشئة عن عجز المستمر في الميزانية نحو 206 مليون فرنك ، المصدر أنظر : قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، التاريخ الحديث و المعاصر ، دار العلم للملايين ، (د.ط) ، بيروت ، 1970م ، ص 12 .

(3)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع نفسه ، ص 13 .

لم يعن البوربون - بسبب مبدأ الحق الإلهي- بأن يربطوا أفراد الشعب بملكية بواسطة هيئات أو منظمات مؤمنة بالبوربون - في أيام لويس السادس عشر- فقدت الكثير من احترام المثقفين وأهل المدن بوجه خاص .

أما زوجته ماري أنطوانيت فهي أميرة نمساوية ، كانت مبغضة من الشعب إذ كانت من سلالة أسرة هابسبرج التي ألف الشعب الفرنسي ذكرها مقرونا بمصائب بلاده والحروب في القصر الإمبراطوري في فينا وسط مظاهر الإحلال والخضوع التام ، كانت غريبة عن الشعب الفرنسي وعاداته ، والدتها الإمبراطورة " ماريا تريزا Maria Theresa " [1] .

ب- الحكومات المحلية :

تغلغل الفساد والأوزار في حكومات الأقاليم ، فعلى الرغم من الوحدة السياسية تنازع أمر الحكم والقضاء في البلاد وسلطات متعددة بعضها فوق بعض مما يدل على بقاء آثار العهد الإقطاع القديم و كان هذا الاضطراب يتجلى أيضا في اختلاف المقاييس والموازين والضرائب والقوانين في المقاطعات المختلفة حتى لقد قال " كالون" أحد وزراء المكية : " إن فرنسا ليست إلا مملكة تتألف من ولايات مستقلة و غدارات مختلفة ، وأنظمة مضطربة وشعوب متفرقة ، فليس ثمة رابطة من النظام أو المبدأ أو الرأي تجمع بين أبنائها " [2] .

- <u>ثانيا</u> : الأوضاع الاجتماعية

كان المجتمع الفرنسي في ظل النظام القديم يميز ثلاث منظمات أو طبقات : الإكليروس والنبلاء وهما الطبقتان المحظوظتان، والطبقة الثالثة التي تشمل أكثر الأمة ، وكانت طبقة الإكليروس أقدم الطبقات ، فكان لها وضع خاص ينظمه الحق القانوني .

و كانت الأرض تمثل المصدر الوحيد للثروة ، فكان الذين يملكونها أسيادا للذين يعملون فيها وهم الاقنان ، وقد احتفظ أسياد الأرض بامتيازاتهم الاجتماعية و الاقتصادية وفي هذه الأثناء خلقت نهضة التجارة اعتبارا من القرن الحادي عشر ونمو الإنتاج المهني شكلا جديد للثورة المنقولة أدت إلى ظهور طبقة جديدة هي طبقة البورجوازية .

و كانت هذه الطبقة الأخيرة في نهاية القرن الثامن عشر على رأس الإنتاج فهي تقدم الأطر للإدارة الملكية ، وكذلك رؤوس الأموال الضرورية لسير الدولة ، أما الإستقراطية فتؤلف الطبقة المحظوظة في مجمع النظام القديم وتشمل النبلاء ومجموع علية الإكليروس[3] .

---

(1)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 12 .

(2)- زينب عصمت راشد ، مرجع نفسه ، ص 12 .

(3)- ألبير سوبول ، <u>تاريخ الثورة الفرنسية</u>، ترجمة : جورج كوسي ، منشورات عويدات ، الطبعة الرابعة ، بيروت، 1998، ص 18 .

أ- طبقة النبلاء :

كان النبلاء يؤلفون المنظمة الثانية في المملكة والطبقة المسيطرة على المجتمع ، كان جميع النبلاء يملكون امتيازات شرفية وإقتصادية وضرائبية : حمل السيف ، مقعد خاص في الكنيسة الإعفاء من ضريبة الأعناق وحق الصيد، واحتكار الحصول على الرتب العالية في الجيش وعلى الرتبة الرفيعة في الكنيسة و الوظائف العليا في القضاء [1] .

و تحوي طبقة النبلاء نبلاء البلاط وهم يعيشون في فرساي حول املك ويحيون حياة البذخ معتمدين على الهبات التي يقدمها لهم الملك وعلى الأجور العسكرية وبما انه كان ممنوعا على النبلاء أن يمارسوا عملا يدويا حتى حراثة أرضهم الخاصة فإن دخلهم الرئيسي يقوم على جباية الحقوق الإقطاعية التي كان القرويون خاضعين لها ، وهو ما زاد الهوة بين الفلاح والنبيل ولم يظهر النبيل بمظهر العطف على الأخير، بل كان النبيل يعيش في ضيعته ويهمه الحصول على أكبر مبلغ من إيجارات الأرض بغض النظر عن أي اعتبار[2] ، ويوجد كذلك نبلاء الوظائف وكان على رأسهم الأسر القضائية الكبرى ، وكان القضاة يشكلون قوة كبرى لأن السلطات الإدارية لا تستطع عزلها فهم يتوارثون وظائفهم أبا عن جد ، وهم متعلقون تعلقا شديدا بامتيازاتهم وهم أعداء لكل إصلاح من شأنه أن يمس امتيازاتهم وحقوقهم .

ب- طبقة الإكليروس * :

كان الإكليروس يعلن عن نفسه أنه " الهيئة الأولى في المملكة " باعتباره المنظمة الأولى في الدولة ، كان يتمتع بامتيازات سياسية وقضائية وتعتمد قوته الاقتصادية على جباية العشر وعلى الملكية العقارية ، و كانت ملكية الإكليروس العقارية تقوم في المدن والأرياف فهو يملك مباني عديدة في المدن ويجبي عنها أجورا تضاعفت عبر السنوات وعلى ما يبدو وكانت الملكية في المدينة أكثر أهمية من الملكية في القرى، فالأديرة تملك مساحات واسعة ومباني عديدة في مدن مثل"رين"و"روان" [3].

و كانت الكنيسة تضع يدها على نسبة عظيمة من دخل البلاد ، مما أثار الحقد على رجال الدين الذين انصرف أكثرهم عن أمور الدين يومئذ ، واتجهوا إلى الحياة الدنيوية ولعل أظهر ألوان الفساد في الكنسية كان تمثيل في انعدام العدل ، فالفرق بين كبار رجال الدين وصغارهم كان صارخا فكبارهم يتمتعون بامتيازات دون غيرهم نذكر على سبيل المثال: الإعفاء من ضريبة

(1)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 20 .

(2)-عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل ياغي ، مرجع سابق ، ص 274 .

(*)- **الإكليروس** : وهم رجال الدين .

(3)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 24 .

العقارTaille وتخفيض ضريبتي الدخل Vingtième والرأس Capitation في حين كان صغارهم يعيشون في ضنك شديد ، تقع عليهم تبعات عديدة وضرائب مرتباتهم ضئيلة إذا قورنت بمرتبات كبار رجال الدين ، وقد لاقت الحركة الفكرية لديهم قبولا وترحيبا وقد انضموا إلى الطبقة العامة مما رجح أصوات هذه الطبقة و مكنها من الثبات لهجوم ومعارضة الطبقتين الأخريين من أصحاب النفوذ من النبلاء وكبار رجال الدين [1] .

ج- طبقة العامة :

تتكون من الطبقة الوسطى ، وطبقة الفلاحين وهي على النحو التالي :

1- **الطبقة الوسطى** :

كانت الطبقة الوسطى تتكون في غالبيتها من سكان المدن ومن رجال القانون والمشتغلين بالصناعة والتجارة ، فهي بذلك طبقة مدنية وليست ريفية ولذلك ينطبق عليـــها في التسمية لفــظ " بورجوازية Bourgeoisie "*، وكان لنمو الصناعة وازدهار التجارة في فرنسا الأثر الكبير في ازدياد عدد أفراد الطبقة الوسطى وفي ازدياد ثرواتهم ، إذ نمت بعض الصناعات فأصبح غالبية أفرادها يتولون مناصب مريحة في الدولة فمنهم غالبية رجال القانون والقضاة والموظفين كانت الطبقة الوسطى صاحبة النفوذ في العاصمة الفرنسية و في مجموعة مصالحها العامة ، على الرغم من هذه المزايا التي كانت تتمتع بها هذه الطبقة فإن أفرادها كانوا غير راضين عن حالتهم وقد كان غالبية زعماء الثورة ينتمون إلى هذه الطبقة وقد فقدوا كل ما كانوا يكنونه من تقدير واحترام لرجال الدين والنبلاء ، بسبب تلك الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها [2] .

2- **طبقة الفلاحين** :

كانت غالبية السكان ، ولا يجب أن نغفل حقيقة أن فرنسا كانت دولة زراعية و إننا إذا استبعدنا سكان المدن و رجال الدين و النبلاء يبقى أربعة أخماس السكان من الفلاحين ، وعليه فإن طبقة الفلاحين تفوق ما عداها من الطبقات في العدد [3] ، و كانت حالة الفلاحين التعسة من الأسباب الجوهرية في وقوع الثورة ، وعلى الرغم من أن لويس السادس عشر قد حرر ما كان باقيا من عبيد الأرض ، إلا أن لم يغير من شعورهم .

---

(1)-زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 31 .

(*)- **بورجوازية** : كلمة أطلقت أصلا على سكان المدن الفرنسية " Bourg " وعممت فيما بعد بحيث أصبحت تطلق على الطبقة الوسطى في جميع البلاد ، وقد قامت تلك الطبقة بدور فعال في القضاء على النظام الإقطاعي و إرساء قواعد الحكم الديمقراطي المصدر أنظر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 31 .

(2) - ألبير سوبول ، مرجع سباق ، ص 28 .

(3)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 33 .

كان الفلاح لا يزال يرزخ تحت أعباء ثقيلة فكان ملزما بالعمل في جزء من ارض سيده دون أجر وكان ملزما بطحن غلاله في طاحونة السيد وعصر عنبه في معصرة السيد ، وكان مضطرا إلى دفع بعض الضرائب غير العادلة وكان ملزما أن يدفع ضريبة إذا مر بطريق أو استخدم نهرا يؤديها للسيد تارة أو للملك نفسه تارة أخرى .

لم تكن الطبقة الوسطى تثق في هذه الطبقة ، ولكنها رأت سنة 1789 م ضرورة التقرب من طبقة الفلاحين حتى تحقق ما أرادت من سياسة ، فأخذت تحرض هذه الطبقة مثيرة في نفوسها كل ما يدفعها للثورة ، فأرادت أن تتخلص من الالتزامات الإقطاعية ومن الضرائب الثقيلة ، وهكذا كانت هذه الطبقة هي السلاح الذي استخدمته الطبقة الوسطى لتحقيق أغراضها [1] .

- **ثالثا** : **الأوضاع الإقتصاديـــة**

وصلت الحالة الاقتصادية إلى درجة كبيرة من الفوضى و الاضطراب بسبب تنوع الضرائب وتعددها ، ووقوع العبء الأكبر منها على كاهل الطبقة الفقيرة ، ثم طريقة تحصيلها واستخدام العنف والقسوة في ذلك ، وقد كانت الفوضى الاقتصادية من العوامل الأساسية في وقوع حوادث الثورة الفرنسية .

- **الضرائب** :

إن أهم ما يميز النظام الاقتصادي الفرنسي في العهد القديم هو نظام الضرائب الفادحة وما اقترن به من الإرهاق وعدم المساواة فهناك ضريبة العقار " Taille " وأخذت الحكومة تجمع منها مبالغ عظيمة ، أعفي منها النبلاء ورجال الدين ورجال البلاط والقضاة ، كانت هذه الضريبة في بعض الأقاليم تقوم على أساس مساحة الأرض مما جعلها ضريبة أرض عادلة ، على حين كانت في جهات أخرى تعسفية لا تقوم على أي أساس [2] .

أما ضريبة الرأس " Capitation " فنشأت في نهاية القرن السابع عشر أثناء حروب لويس الرابع عشر وفرضت كضريبة مؤقتة ولكنها بقيت حتى عام 1791 م عندما ألغتها الثورة، وكان يؤديها عامة الشعب ، وضريبة الدخل " Vingtième " وهي نوع من الضرائب التي كانت تفرض على الجميع حسب دخل الفرد .

(1)- عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل ياغي ، مرجع سابق ، ص 275 .

(2)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 14 .

و ضريبة الملح " La Gabelle " * ، كان الملح احتكار للدولة التي كانت تقدر مقدار ما يفرض منه على كل شخص سنويا ، وكانت ترغم كل فرد من الأهالي رجلا كان أو امرأة أو طفلا على شراء قدر معين منه حتى ولو لم يكن لديهم الخبز .

و قد بلغ الضرائب في فرنسا مبلغا عظيما من القوة و النفوذ في عهد لويس الخامس عشر لدرجة أنهم كونوا شركة " Fermiers Général " ، والتزموا أمام الحكومة بتحديد مقادير المال وفق ما يتولون تحصيله من ضرائب ، وقد ألغته الثورة هكذا كانت فرنسا ترزح تحت أعباء حكم فاسد مضطرب لا نظام فيه ولا رحمة ، فلا عجب إذا كانت هذه الأعباء الثقيلة من حقوق إقطاعية زكاة كنيسة ، وضرائب ملكية ترهق كاهل العامة و بخاصة المزارعين الذين تتألف منهم أغلبية الشعب العظمى [1].

- **رابعا : الأوضاع الفكرية**

كان القرن الثامن عشر امتداد للأسباب العامة التي أدت إلى اليقظة الشاملة في فرنسا وظل الغليان الذي تميز به القرن السابع عشر في تعاظم وازدياد ، فبالإضافة إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ميزت عصور فرنسا الوسطى ظهرت في القرن الثامن عشر نهضة (استنارة) فكرية كان لها الأثر البالغ في قيام الثورة الفرنسية .

1- **الحركة الفكرية (الاستنارة)** :

كانت فرنسا تحتل المكانة الأولى في عالم التقدم الفكري في اتجاه إنساني واضح ، وهذا الاتجاه الإنساني سيكون له أثر الكبير في رفع مكانة الفرد الفرنسي و رفع فرنسا إلى تزعم حركة تحرير الفرد من مظاهر الطغيان التي كان يزخر العالم بها وكنقطة انطلاق لهذه الروح الجديدة ولهذا الاتجاه تتركز حول ضرورة إعادة النظر في طبيعة الإنسان وتقييمها تقييما جديدا .

و تتميز الاستنارة بكونا لا تعود إلى الماضي لتكريس سلطة القدامى والتقاليد ، إنما على العكس فهي تهدف إلى تحرير الإنسان من كل قيد ، ومن كل المعايير والقيم القديمة التي كانت تكبله [2] .

(*)- **ضريبة الملح لاجا بيل من Gabe أي منحة** : استخدم اللفظ للتعبير عن الضرائب المتنوعة ، لكن اقتصر فيما بعد على التعبير عن ضريبة الملح ، فرضت أول مرة على الفرنسيين سنة 1282 م ، وقد كانت عبئا ثقيلا على الشعب الفرنسي ، ألغيت أثناء أحداث الثورة عام 1790 م ، المصدر انظر : ألبر سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، ص 44 .

(1)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 35 .

(2)- جمال قنان ، مظاهر من تطور أوربا ، د.م.ج ، (د.ط) ، الجزائر ، 1984 م ، ص 92 .

ظهرت في فرنسا إبان القرن الثامن عشر طائفة من الكتاب الذين قوضوا دعائم النظام القديم كان من أكبر هؤلاء الكتاب وأعظمهم أثرا : مونتسكيو، وفولتير، و جاك روسو :

فهذا مونتسكيو" Montesquieu " * يطوف أنحاء أوربا مستطلعا فاحصا ، ثم يعود ليستقر في بلاده وينشر كتابيه القيمين " روح القوانين " و" رسائل فارسية " ، وفي هذا الأخير يقول فيما هاله أمره من التعصب الذي عرفت فيه العصور السالفة : " إن التعصب حالة من حالات الخرف للروح البشرية ، ولا يمكن اعتباره إلا أنه إغماء أصاب العقل البشري و آذاه" [1] .

أما كتابه " روح القوانين " فقد حلل فيه تحليلا دقيقا أنظمة الحكومات المختلفة والظروف التي نشأت فيها واعتبر النظام الانجليزي أوفى الأنظمة وأرقاها، لأنه نظام يمنع طغيان الحاكم ، وينقل الحكم إلى ثلاث هيئات مستقلة : " الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية والهيئة القضائية " ، ونادي مونتسكيو بأنه لكي يستقر الحكم الصالح في فرنسا يجب عليه أن يقتبس النظام الانجليزي ، وقد أخذت فرنسا بنظرية مونتسكيو في مبدأ الفصل بين السلطات في كل الدساتير التي تعاقبت عليها من عهد الثورة إلى عهد الجمهورية الثالثة [2] .

أما جان جاك روسو" Rousseau " ** الأب الأول للثورة الفرنسية و الصانع الأول لما انبثق عنها من مبادئ وأصول ، فقد طغى تأثيره في فرنسا وفي أوربا، وقد دعي إلى ضرورة هدم البناء الاجتماعي القائم ، غير أنه عمله الرئيسي كان في كتابه " العقد الاجتماعي " الذي يذهب فيه إلى أن الناس جميعا ولدوا أحرارا متساوين في الحقوق ، كما يحدد نوع النظام الذي يجب أن تسير عليه الحكومات ويحدد علاقة الحاكم بالمحكوم .

و لقد كان لهذا الكتاب تأثير بالغ في نفوس الفرنسيين حتى لقب " بإنجيل الثورة " لما امتاز به من متانة الحجة وقوة الأسلوب ، وإن روبسبير أحد أبطال الثورة كان من تلاميذ روسو.

(*)- **مونتسكيو " Montesquieu "** : (1689م - 1775م) من طائفة الأشراف وقد عني منذ بداية حياته العلمية بوضع مجموعة من المؤلفات القيمة في مواضع شتى ، ولكن مؤلفه الذي خلد اسمه هو كتاب " روح القوانين " ، أنظر المصدر : قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 16.

(1)- جورج جرداق ، مرجع سابق ، ص 144 .

(2)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، المرجع نفسه ، ص 16 .

(**)- **جان جاك روسو " Jan Jack Rousseau "** : (1712م - 1778م) له نهج غير نهج مونتسكيو اتجه روسو بتأثير الآلام التي مر بها في حياته إلى وضع نظام حديث لمجتمع حديث وكان لمبادئه تأثير واضح في نشأة الثورة الفرنسية و الرومانطقية ، المصدر أنظر : محمد عبد الغني جاسر ، موسوعة مشاهير وعظماء و شخصيات من التاريخ ، دار البرهان ، (د.ط) ، القاهرة ، 2005 م ، ص 75 .

بالنسبة لفولتير" Voltaire " * ، فقد لقب بالأب الثاني للثورة نادى بالتسامح والتآخي بين بني الإنسان و ندد بالحروب الدينية التي كانت خزيا على التاريخ ، حارب فولتير التعصب والاضطهاد وقد ألف كتاب ضد التعصب " مقبرة التعصب الديني " ودعا إلى الحرية بكافة مظاهرها و أوسع معانيها ودعاها " حرية الشخص الكاملة " رأى أن الحكم المطلق سبب رئيسي في ما وصلت إليه فرنسا من تخلف وتأخر، و من بين الأعمال العظيمة التي أنتجتها فرنسا في هذا العصر وكان لها الأثر البعيد في تطوير الفكر البشري عامة ، إذ ساهمت في نشر المعارف الإنسانية وثقفت الأذهان وأعدتها إلى فهم مشكلات الإنسان والمجتمع والحياة : " دائرة المعارف الفرنسية " التي أشرف عليها " ديدرو" و"دلمبير" واتخذوا منها أداة حرب ضد الأنظمة والعقائد السائدة ووسيلة لتهيئة العقول لانقلاب شامل في جميع نواحي الحياة .

و يلاحظ أن آراء الفلاسفة والكتاب في هذا العصر لم تنصرف إلى فكرة إنشاء جمهورية ديمقراطية بل اتجهت إلى إنشاء ملكية دستورية ، تعمل لمصلحة الشعب وضمان رخائه وطمأنينته فلما اشتد اضطراب الطبقات المالي، وازداد تعثر الحكومة في سياستها انتشرت فكرة الجمهورية بين مختلف الطبقات وساعد على انتشارها نشبت الثورة الأمريكية واشتراك فرنسا في حرب الاستقلال الأمريكية فجرى ذكر الحكم الجمهوري و ذاعت في كل الأنحاء و الأوساط [1] .

2- **الأزمة المالية و فشل الإصلاحات** :

إن السبب المباشر الذي أدى إلى اندلاع الثورة هو الأزمة المالية و فشل الإصلاحات المختلفة التي أشار بها بعض الوزراء ، ما أدى إلى استدعاء مجلس طبقات الأمة للتفكير في حل لهذه الأزمة فقد عمل غالبية هؤلاء الوزراء على تحسين هذه الحالة وانقد البلاد من الأزمة الاقتصادية التي سببتها حربي الوراثة النمساوية ، والسنين السبع وما كلفتا - الحربين- من أموال طائلة .

(*)- **فولتير " Voltaire "** : (1694م - 1778م) سجن في شبابه مرتين ، الأولى لطعنه في حكومة الوصاية على لويس الخامس عشر ، و الثانية لعراكه مع أحد الأشراف سافر على إثرها إلى انجلترا ودرس نظم الحكم فيها و أعجب بها ، فجعل ينشر من ذلك الحين " رسائله الفلسفية " في مزايا الحكم الصالح ومضار الحكم المطلق سواء في الدولة أو في الكنيسة ، فأمرت الحكومة بإحراقه ففر فولتير إلى الخارج و اتصل ببلاط فردريك الأكبر ملك بروسيا فذاعت شهرته ، ونشر كتابا عن " عهد لويس الخامس عشر " فارتفع إلى مرتبة السيادة الفكرية حتى أصبح يلقب " الملك فولتير" ، المصدر انظر : جورج جرداق ، مرجع سابق ، ص 155 .

(1)- جورج جرداق ، مرجع سابق ، ص 155 .

و قد أصيبت صناعة المنسوجات في الصميم عند ما اندلعت حرب الاستقلال الأمريكية ، لأنها كانت تعتمد أساسا على السوق الأمريكية لتزويدها بالقطن وزاد من خطورة الحالة حالة الجفاف التي شهدتها خاصة سنة 1785 م وآثارها السلبية على الماشية والتي أوردت بأعداد كبيرة منها كما أمتد ضررها إلى قطاع آخر هام وهو قطاع الكروم [1] ، فكان الخمر يشكل لدى القرويين الإنتاج الوحيد الصالح للبيع وفي الوقت نفسه سببت معاهدة التبادل الحر مع انجلترا عام 1786م* تباطؤ في النشاط الصناعي ، فتعرضت الصناعة الفرنسية للمنافسة الحادة للصناعة الانجليزية التي كانت تتابع تطوير آلاتها وتمني قدراتها الإنتاجية [2] .

لقد اتبع الاصلاحيون المبادئ التي ناشد بها جماعة الاقتصاديين** لضمان حرية التجارة داخل فرنسا وخارجها، وتنظيم الضرائب تنظيما عادلا ، وكان ذلك يقضي بالمساواة في تأدية الضرائب بين طبقات الأمة من النبلاء ورجال الدين و العامة ، وفرض ضريبة عامة على الأرض ومن أمثال هؤلاء المصلحين نذكر " تورجو Tougle " الذي اشتهر بأصالة الرأي والرغبة في الإصلاح فقد قضى على المكوس الداخلية التي كانت مفروضة على التجارة ، كما ألغى نقابات الحرف التي كانت عقبة في سبيل العمل و الصناعة ، وتوخي سبيل الاقتصاد في نفقات الحكومة والبلاط الملكي غير أن إصلاحاته قوبلت بالرفض من بطانة الملك وأصحاب المصالح الذي تألبوا عليه لما فاجأهم بالاقتصاد الشديد ، حتى عزله الملك في ماي 1776 م[3] .

ليعين بعده " نيكر Necker " (1776-1781م) ، وكان يرى أن الدولة تستطيع- عن طريق الاقتصاد في نفقاتها وعقد القروض- أن تنهض بأعبائها، استخدم نيكر القروض في دفع النفقات الحرب عندما اشتركت فرنسا في حرب الاستقلال الأمريكية، عجزت تدابير" نيكر" الاقتصادية فأدى إلى عزله ليعود مرة أخرى قبيل اندلاع الثورة، وليعد العدة لاجتماع مجلس طبقات الأمة [4].

---

(1)- جمان قنان ، مظاهر من تطور أوربا في القرن الثامن عشر ، د.م.ج ، الجزائر ، 1984 م ، ص 119 .

(*)- معاهدة أيدن سنة 1786م بين انجلترا و فرنسا وكان من نتيجتها فتح الأسواق الفرنسية أمام المصنوعات الانجليزية ، وكان هذا بمثابة ضربة تلقتها الصناعة الفرنسية التي لم تستطع الصمود أمام منافسة المنتوجات الانجليزية المتطورة ، وقد سببت موجة إفلاس للاقتصاد الفرنسي ، المصدر انظر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق .

(2) - ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 83 .

(**)- هم مجموعة من الاقتصاديين الذين ثاروا ضد المبادئ الاقتصادية التي ورثتها فرنسا عن سياسة كولبير" Colbert " منذ القرن أو ما يزيد ، وعرفوا بالطبيعيين " Physiocrate " وكانوا يؤمنون بأن استغلال الأرض وإنتاجها هو مصر الوفير لجميع الناس ، وأن العمال هم الطبقة المنتجة كما نادوا بحرية التجارة ، و تخفيض الضرائب من أشهر هم كسني " Quesnay " (1694م-1774م) الذي عرف " بالجدول الاقتصادي " وهو خير علاج لاقتصاد فرنسا، المصدر انظر: زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 99 .

(3)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 37 .

(4)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 84 .

تولى كالون " Calonne " وزارة المالية بين عامي (1781م-1787م) فكانت له طريقته في الإصلاح الاقتصادي عندما نادى بمبدأ استخدام القروض لإظهار الدولة بمظهر البذخ فكانت النتيجة وبالا على الدولة إذ اضطرت إلى الاستدانة بمبالغ طائلة لتحقيق هذه السياسة ، ولما اشتدت الضائقة المالية بالحكومة حتى أصبحت على شفا الإفلاس، أعلن الملك في أوت 1788 م عزمه على عقد مجلس طبقات الأمة ليكون عونا له على معالجة الأزمة ، وكان كالون يأمل أن يقترح أعضاؤه وهم من الطبقات المميزة فرض الضرائب على طبقتهم ، و لكنهم لم يفعلوا ذلك ورفضوا رأي كالون الذي كان يقضي بتعميم الضريبة على النبلاء ورجال الدين ، وقد استبعد كالون من وزارة المالية كما حدث لسابقيه " ترجو" و" نيكر" [1] .

فخلفه دي بريين " De Brienne " (1787م-1788م) وهو رئيس أساقفة " تولوز" وكان آخر من تمتعوا بنفوذ سياسي من رجال الدين ، وفي عهده وافق " مجلس الأعيان " على غالبية مقترحاته ولكنه رفض فرض ضريبة عامة على الأرض ، فاستخدم الملك حقه المشروع في فرض الضرائب على أن البرلمان كان قد وافق على مرسوم حرية التجارة الداخلية ، وإنشاء المجالس الإقليمية ، أعتزل دي بريين الحكم في سنة 1788 م [2] .

في 05 ماي 1789 م افتتح الملك لويس السادس عشر المجلس في قصر فرساي ، وحضر مجلس طبقات الأمة " Etats Généraux " الذي يتكون من رجال الدين و النبلاء و العامة وكان مميزا عن مجالس المقاطعات التي تضم ممثلين لكل مقاطعة على حدة ، لم يكن مجلس طبقات الأمة في شكله التقليدي بالذي يصلح لمواجهة الأزمة ، فقد كانت طبقاته الثلاثة : رجال الدين والنبلاء وطبقة العامة تجتمع في ثلاث قاعات متفرقة ، وبذلك يكون للطبقتين صاحبة الامتيازات غرفتين بينما لا يملك العامة إلا غرفة واحدة [3] .

لقد كان النبلاء يعارضون كل إصلاح في مجال الضرائب من شأنه أن يفرض عليهم التزامات ضريبية وعبئوا كل جهودهم لمحاربة مشروعات الإصلاح المالي التي تريد الحكومة إقرارها ، وقد جندوا في هذا السبيل المؤسسات التي يشرفون عليها كالهيئات العامة في المقاطعات والبرلمانات إلى جانب استغلالهم لنفوذهم في البلاط من اجل الضغط على الملك ودفعه إلى التخلص من وزارته و أصبح هناك اعتقاد شائع عندهم بكون هاته الامتيازات ليست منحة وتكرما تفضل لها الملك عليهم ، إنما هي حق شرعي تمتد أصوله إلى الماضي البعيد [4] .

---

(1)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، أوربا في القرنين التاسع عشر و العشرين (1789م- 1950م) ، مؤسسة سجل العرب ، (تر : بهاء فهمي) ، ج1 ، القاهرة ، (د.ط)، (د.ت) .

(2)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 41 .

(3)- جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790م- 1830م ، (ط.خ) ، م. م .م، (د.ت)،(د.م) ، ص 12 .

(4)- جمال قنان ، مرجع سابق ، ص 13 .

II) - قيام الثورة الفرنسية :

ينصرف الذهن عادة عن سماع كلمة " ثورة " ما صاحب هذا الحادث الجلل من الفوضى وسفك الدماء ، ولكن " الثورة الفرنسية " يراد بها قبل كل شيء هدم الأنظمة والمبادئ القديمة السائدة و إقامة نظم جديدة للحكم على أسس من الحرية والإخاء و المساواة .

إن الأحداث السياسية الكبرى التي عاشتها فرنسا ما بين شهر ماي وجويلية 1789 م والتي ابتدأت بمطالبة الهيئة الثالثة " Le Tiers Etat " بالقيام بعملية فحص العضوية لتمكين أشغال الهيئات العامة " Les Etats Généraux " من الانطلاق وفق جدول الأعمال الذي تم تحديده وضبطه من طرف الملك لويس السادس عشر ووزيره " نيكر" في اجتماع مشترك مع الطبقتين صاحبتي الامتيازات النبلاء و رجال الدين ، ورفض هاتين الأخيرتين لهذا الطلب ، أدى إلى اندلاع أزمة إجرائية لم يستطع الملك فك عقدتها والتحكم فيها ، فامتدادها في الزمن أدى إلى توسيع دائرتها من جهة ، كما أعطى الفرصة للقوى الشعبية للتحرك و التدخل من جهة أخرى [1].

لقد أدى هذا الوضع إلى تغيير طبيعة الأزمة نفسها ، فبعد أن كانت إجرائية أصبحت أزمة سياسية حادة عمت جميع مناطق البلاد ، ومع بداية شهر أوت 1789 م أنجلى الوضع ليسفر عن وأد " النظام القديم " ورموزه ملكية مستبدة ورعايا أقنان وإقامة نظام جديد ملكية دستورية ومواطنون .

و قد بدأت باجتماع الجمعية الوطنية في 16 جويلية 1789 م ، ثم الهجوم على سجن الباستيل الذي كان يرمز للعبودية والاستبداد الملكي وسقوطه في يد المهاجمين ليتم الإعلان على دستور 1791 م الذي تضمن مبادئ حقوق الإنسان ، لتسفر الثورة على أهم نتيجة وهي إلغاء الملكية وإعلان النظام الجمهوري في 22 سبتمبر 1792 م .

أ - اجتماع الجمعية الوطنية " L'assemblée Nationale " (1789م - 1791م)* :

اقترح سييس "Sieyès " - وهو أحد ممثلي الطبقة الثالثة- أن يستدعى للمرة الأخيرة ممثلي النبلاء ورجال الدين للاجتماع معهم في قاعة واحدة للمبادرة بوضع دستور جديد لفرنسا تصان به حقوق الشعوب، سواء اشتراك معهم الأشراف و رجال الدين أم لم يشتركوا، فاتخذ الأشراف من هذه الخطوة الثائرة على النظام القديم ذريعة لإقناع الملك بالانضمام إلى صفوفهم، فأمر بإغلاق القاعة التي كان يجتمع فيها نواب العامة بحجة إعدادها للجلسة القادمة .

---

(1)- جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790م- 1830م ، المرجع نفسه ، ص 10 .

(*)- عندما امتنع الأشراف ورجال الدين إلى الانضمام إلى الطبقة الثالثة بادروا بالبحث عن تسمية لهم، فاقترح ميرابو " Mirabeau " أن يسموا ممثلو العامة بممثلي الشعب الفرنسي ، بينما اقترح لوجران أن يطلق عليهم " الجمعية الوطنية " وكان سييس من المؤيدين لهذه التسمية و اختير بيللي " Bailly " رئيسا لهذه الجمعية ، انظر المصدر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 102 .

ولكن أعضاء الجمعية الوطنية انتقلوا في 20 جوان1789م إلى ملعب التنس المجاور لقصر فرساي ، وهناك تعاهدوا على أن يوالوا الاجتماع مهما كانت الظروف حتى ينتهوا من وضع الدستور الذي طلبه الشعب [1] .

فلما كان يوم 23 جوان1789م وهو موعد الجلسة الملكية تقدم الملك إلى قاعة الاجتماع وألقى خطابا ضمنه إلغاء القرار الذي اتخذه نواب العامة ، وذكر الإصلاحات التي رأى وجوب بحثها لإدخالها على نظم الحكومة وأعلن قراره بوجوب انفصال طبقات المجلس الثلاث عن المناقشة وأخذ الأصوات ، وانذر الأعضاء بالمضي وحده في طريق الإصلاح إذا عمد النواب إلى التنازع فيما بينهم ، ثم غادر القاعة ومن ورائه رجال الدين والأشراف وبقى مندوبو العامة يتنازعهم الخوف والسخط في نفوسهم وسرعان ما تناسوا ذلك الخوف عند ألهبت حماستهم خطب كلا من سييس و ميرابو وقد صاح بهم ميرابو قائلا : " إننا هنا بإرادة الشعب، ولن نبرح مكاننا إلا على ألسنة الرماح " ، فلم يستخدم الملك القوة لإخراجهم وكان في ذلك انتصار العامة .

إلا أن الملك غير رأيه وقرر مقاومة هذا التحدي واستدعى قوات الجيش ولما ظهر أن الجمعية الوطنية عاجزة عن رد هذا العدوان ، عكفت الجماهير على تولى المقاومة بنفسها فأنشأت قوة من أفراد الشعب " حراس الأهلي " ولما كانت هذه القوة تنقصها الذخيرة ، فقد هاجم الشعب مخازن الأنفليد* و دار الصناعة في 14 جويلية واستولى على ما فيها من أسلحة ، ثم تحول إلى سجن الباستيل [2].

2- **الهجوم على حصن الباستيل وسقوطه** :

بعد ما استولى المهاجمون على الأسلحة من دار الأنفليد اتجهوا لمهاجمة الباستيل** وكان من الحصون القليلة الباقية من العصور الوسطى ، ثم تحول الباستيل إلى سجن من سجون فرنسا :

" كان الباستيل إذ ذاك عنوان الاستبداد وركنا من أركان الاستعباد وكان حصنا عتيقا ذا حجور معتمة بها السلاسل و أغلال أعدها الملوك لأعدائهم الذين يحقدون عليهم لأمر ما .

---

(1)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 28 .

(*)- **الأنفليد** : أصبحت دار الأسلحة حاليا دار النقاهة واستجمام مشوهي الحرب وهي تسمى" دار الناقهين Hôtel des Invalides " المصدر انظر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 57 .

(2)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 57 .

(**)- **الباستيل** : هو سجن أنشئ في فرنسا عامي (1370م- 1383م) كحصن للدفاع عن باريس ومن ثم كسجن للمعارضين السياسيين و المحرضين ضد الدولة ، وأصبح على صدر السنين رمزا للطغيان و الظلم ، كان اسمه الأصلي " الباستيد " " La Bastide" وتعنى الحصن باللغة الفرنسية ، يبلغ ارتفاع جدرانه 30 مترا وخنادقه ملأ بالماء بعرض 25 مترا .

فكانوا يلقونهم فيه من غير تحقيق ولا محاكمة ، حتى إذا مات أحدهم في ظلمته الموحشة أخرجوه ودفنوه سرا باسم مستعار يظل أمره مكتوما إلى الأبد" [1] ، وقد ألقي فيه فولتير وأمثاله من المنتقدين للملك وحكمه .

أقبلت الجموع الصاخبة الثائرة لمهاجمته – الباستيل - وكانوا يصيحون : " إلى الباستيل! إلى الباستيل! " وقد قاموا بتسلق الأسوار واقتحام الأبراج واستولوا على القناطر المتحركة الداخلية وقاموا بتهديم ما استطاعوا هدمه من الباستيل تحت وابل من نيران المدافع حتى اضطر قائده إلى التسليم ، وبذلك سقط الحصن في أيدي المهاجمين نهائيا ، و لما كانت الجيوش التي استدعاها الملك قد رفضت إطلاق النار على المتظاهرين، فقد اسقط في يد الملكية و أنصارها ، وقد قام الملك لويس السادس عشر بزيارة باريس دلالة على رضائه عن أهلها وأجاب مطلبهم الخاص بتعيين "بايلي" رئيس "الجمعية الوطنية "عمدة لها، و" لافاييت Lafayette" قائد للحرس الأهلي ، كما أعاد "تيكر" إلى الوزارة وابعد الجنود عن باريس وفرساي[2].

من نتائج سقوط الباستيل :

لقد هزم الملك و هزم الحزب المعارض المقاوم للإصلاح ، وكانت انتصار الجمعية الوطنية عظيما ، فقد استطاعت أن توطد مركزها و أن تستمر في عملها الهام وهو وضع الدستور.

كما نتج عن سقوط الحصن هجرة عدد كبير من النبلاء وأصحاب الامتيازات كبعض أفراد الأسرة المالكة ومنهم أصغر أخوة الملك " الكونت دارتوا Conte D'Artois" و" الأميرة كونديه Condé" رفض أولئك جميعا - عقب أحداث الثورة – البقاء في فرنسا و الخضوع لسيطرة تلك العناصر التي كانوا يكرهونها ، وقصد عدد كبير منهم " تورين Turin " في سهل لمبارديا [3] .

كان الباستيل يمثل في نظر الشعب كل ما قاساه من ضروب التعسف والطغيان إبان القرون الماضية ، فكان نذيرا بسقوط الأنظمة القديمة كلها، أما دلالته فكانت شعور الشعب بقوته ، وقد اشتغل الزعماء هذا الشعور لإخضاع الحكومة .

(1)- جورج جرداق ، مرجع سابق ، ص 155 .

(2)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 30 .

(3)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 60 .

أما النتيجة المباشرة لسقوط الباستيل فهي أن ثوار الأقاليم أخذوا يهاجمون قصور الأشراف - التي تمثل الباستيل في أقاليمهم - وجعلوا يحرقون ما بها من السجلات التي تثبت حقوق الأشراف إزاء العامة ، حتى سادت الفوضى في كل مكان لاسيما عندما تخلى رجال الأمن صد الثائرين مخافة أن يحل بهم ما حل بعساكر الباستيل ، وعلى إثر ذلك قام جماعة الناجين في الأقاليم بتشكيل لجان للإشراف على أعمال الحكومة والمحافظة على الأمن، اقتداء بما فعله زملائهم في باريس[1].

ب- الدستور الأول للثورة (دستور1791م) :

انتقلت الجمعية الوطنية إلى باريس عقب مغادرة الملك قصر فرساي ، فأمنت بذلك جانب الحكومة وتدخلها في أعمالها ، لم تكن في الواقع مهمة واضعي الدستور مهمة يسيرة معبدة الطريق، بل كانت هناك صعوبات كثيرة تعترض طريقهم ، تتلخص في عدة أمور : الشغب المتزايد من جانب شعب باريس الغاضب وحدة اتجاهاته الثورية ، وقد أغضبه من الجمعية أنها لم تهتم بإصدار قرارات سريعة وعملية لعلاج حالة البؤس التي كان يعاني منها ، بالإضافة إلى أن الكثيرين منن أعضاء الجمعية عندما بدئوا عملهم كانوا يفتقرون إلى الخبرة في العمل السياسي[2].

أهم مواد الدستور :

1- **وثيقة إعلان حقوق الإنسان** : أعلنت الجمعية الوطنية حقوق على أساس تعاليم روسو : وهي أن الناس ولدوا أحرارا ومتساوين في الحقوق ، ويجب على الحكومات ضمان الحرية والأملاك الشخصية و صيانة الحقوق وحماية الأرواح ومنع المظالم، وللأمة حق مشاركة حكومتها في وضع القوانين وتقرير الضرائب وهي وحدها مصدر السلطات.

2- **إلغاء الامتيازات** : ألغت الجمعية الوطنية الإقطاع ونظام الامتيازات وما كان يترتب عليه من واجبات وبخوله من حقوق ، وقد ساهم أبناء الطبقات المميزة أنفسهم في تحطيم الأسس القانونية لمركزهم و القضاء على الامتيازات [3] .

3- **السلطة التشريعية** : وضعت الجمعية الوطنية دستورا جديدا للبلاد نص على أن تكون السلطة التشريعية في يد مجلس نيابي واحد ينتخب لمدة سنتين ، بحيث لا يتحدد انتخاب الأعضاء مرتين متواليتين ، وجعل الانتخاب على درجتين ، كما جعل حقه مقصورا على من يدفعون قدرا معينا من الضرائب وبشرط ألا يقل سن الناخب عن خمسة وعشرين عاما .

---

(1)- أ. جرانت و هارولد تمبدلي ، مرجع سابق ، ص 105 .

(2)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 69 .

(3)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 158 .

و خول الملك سلطة الاعتراض (Veto) أي حق عدم التصديق على قرارات المجلس ، إلا إذا أجازت تلك القرارات ثلاثة مجالس متتالية [1] ، لقد أصبحت ممارسة الحقوق السياسية على النقيض مما جاء في إعلان حقوق الإنسان وقفا على الذين يستوفون شرط الملكية ، الأمر الذي يعني استبعاد أغلبية العمال وأصحاب الحرف في المدن من دائرة الناخبين .

4- **سلطة الملك** : خول الدستور الملك حق تعيين الوزارة ورياسة الجيش وإعلان الحرب وعقد المعاهدات الصلح - بشرط موافقة المجلس - والأشراف على القضاء والإدارة على أن هذا الإشراف كان عديم القيمة ، إذ جعلت تلك الوظائف قائمة على أساس الانتخاب ، فأصبحت سلطتها مستمدة من الشعب لا من الملك .

5- **السلطة القضائية و الإدارية** : أعيد تشكيل النظام القضائي الفرنسي ، فتقرر تعيين القضاة بالانتخاب و إلغاء عقوبة التعذيب و إتباع نظام المحلفين، كما أعيد تنظيم فرنسا التاريخية القديمة ونورماندیا وشامبانيا وبروقانس، وقسمت فرنسا إلى ثلاثة وثمانين قسما متساوية المساحة أطلق عليها أسماء جديدة تتفق مع أسماء المعالم الجغرافية القريبة منها كالأنهار والجبال وغيرها [2].

6- **السياسة الدينية (إعادة تنظيم الكنيسة وإدارتها)** : بعد القضاء على الملكية المطلقة لم يصبح لارتباط الكنيسة بالملكية أي قيمة وكان لا بد للكنيسة من تنظيم جديد خاصة وأن الكنيسة في فرنسا كانت في حاجة ماسة إلى الإصلاح - لقد اتجهت الحرية الفكرية في القرن الثامن عشر نحو مهاجمة الكنيسة واعتبارها من أهم عوامل الركود والجمود وفساد المجتمع – وقد كانت الجمعية الوطنية مدفوعة بدافع استغلال أموال الكنيسة لتحسين الحالة الاقتصادية للدولة * .

واعتبروا الزكاة أو ضريبة العشور التي كانت تعدها الكنيسة من الامتيازات وأصدروا قرار بأن لا تدفع إلا للدولة ، ولم تعوض عنها الكنيسة بشيء ، وأصبحت بذلك الدولة صاحبة حق الإتفاق على إقامة الشعائر الدينية ودفع رواتب رجال الدين [3] .

- **محاولة فرار الملك** :

لقد وقع الملك على القوانين التي أصدرتها الجمعية الوطنية الخاصة بتنظيم الكنيسة مكرها خشية أن يحدث رفضه لها احتجاجا عاليا ، في شهر جوان قرر الملك الفرار إلى الحدود الشرقية

---

(1)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 35 .

(2)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق ، ص 69 .

(*)- قدرت قيمة أملاك الكنيسة بنحو ثلاث ملايين فرنك ، ولكنها عوضت في السوق بأبخس الأثمان للحصول على قيمتها نقدا المصدر أنظر : قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 36 .

(3)- جورج جرداق ، مرجع سابق ، ص 121 .

لينظم إلى القوات المتواجدة هناك تحت قيادة " بوييه Bouillé " آملا أن يعود إلى باريس بسند تلك القوات العسكرية ، فيفرض ما أراد من تعديلات على هذا الدستور[1] .

كاد الملك ينجح في خطة الهرب التي دبرها مع أسرته وعندما أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الأمان اكتشف أمرهم وقبض عليهم في فارن " Varennes " وأعيدوا إلى باريس وسط مظاهر الامتهان و التحقير ، كان الاختلاف حول مصير الملك، فقد أعلن الملك في خطاب كتبه قبل هربه بأن كلما وافق عليه بعد جلسة 23 جوان 1789 م كان على الرغم من إرادته ولذلك لا يتقيد به فرأي فريق من الجمعية الوطنية وهم جماعة المتطرفين من اليعاقبة ** ، أن في سلوك الملك هذا خروجا منه على أمته وحنثا بعهده، أنه قد آن الوقت الذي تزول فيه الملكية وتقام الجمهورية لتوطيد النظام الجديد ولكن غالبية الجمعية كانت تتألف من المعتدلين الذين انتهجوا خطة الاعتدال أملا في أن تسير الثورة في أضيق الحدود .

و كان زعيمهم " ميرابو" صديق الملك ومستشاره إلى حين وفاته سنة 1791 م فلما عرض موضوع الملك على بساط البحث استصدر المعتدلون قرارا من الجمعية بإعادة الملك إلى عرشه مع تقييد سلطته وذلك لكي تجنب البلاد الأزمة التي تعقب إلغاء الملكية ، وتم وضع الدستور في سبتمبر سنة 1791 م فوقعه الملك و أقسم يمين الولاء له و للوطن [2] .

- **اجتماع الجمعية التشريعية** " L'assemblée Législative " :

تطبيقا لدستور 1791 م انعقدت الجمعية التشريعية في أول أكتوبر 1791 م وفق أحكامه ، وكانت تختلف عن الجمعية الوطنية التي تقدمتها في أن مهمتها اقتصرت على تنفيذ مواد الدستور وحماية مكاسب الثورة من كيد المناوئين لها ، و لما كان أعضاء الجمعية الوطنية قد قرروا أنه لا يجوز تجديد انتخاب أي عضو منهم للجمعية التشريعية ، فقد حرمت هذه الجمعية من أعظم رجال فرنسا كفاءة وحزما و خيرة وامتلأت بشبان حديثي العهد بالسياسة وشؤون الدولة [3].

---

(1)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 74 .

(**)- **اليعاقبة** : تكونت هذه الجماعة من بين أعضاء الجمعية الوطنية للتداول في أعمالهم النيابية ولما انتقلت إلى باريس اتسع نطاق الجماعة وأصبحت تشمل عدد كبير من المنشغلين بالسياسة واتخذت ناديا لها دار قديمة للطائفة الدينية المعروفة باليعاقبة "Jacohine" فأطلق هذا الاسم على أعضاء ذلك النادي ، وقد كان له فروع في كل أقاليم فرنسا انظر المصدر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 78 .

(2) - جورج جرداق ، مرجع سابق ، ص 123 .

(3)- شوقي عطا لله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (د.ط) ، القاهرة ، 2000 م ، ص 110 .

انقسمت الجمعية التشريعية في بادئ الأمر إلى ثلاثة أحزاب وهي : اليسار واليمين والوسط أما حزب اليسار فكان يجمع أنصار اليعاقبة المتطرفين الذين تقدم ذكرهم وكان عددهم لا يتجاوز 136 عضوا ، بينما بلغ عدد أعضاء حزب اليمين (Feuillants) 264 عضوا ، وضمت الجمعية نحو 400 عضوا كانوا يعرفون بحزب الوسط لأنهم لم يتميزوا بالسياسة الحزبية الخاصة وعرفوا بجماعة الجيروند(Girondins)*.

لقد تزعم الجيروند البرجوازيون أعداد الملكية دعات الجمهورية وكان على الجيروند أن يدافعوا على مكاسب الثورة بلباقة اللسان التي اتصفوا بها ولكن الأساليب الأخرى كانت تعوزهم، وكان اللعب، ثقيلا عليهم حيث الأحوال غاية في الاضطراب والمهاجرون وملوك أوربا يتوعدون الثورة الفرنسية بشن حرب لتخليص البلاد منها وقد تعرضت فرنسا لمخاطر داخلية ، كان أهمها مذابح سبتمبر 1792 م [1] .

كان أول ما اتجهت إليه أنظار الجمعية التشريعية خطر الحرب التي هددت فرنسا ، فقد أجمعت دول أوربا على " الدفاع عن حق الملوك الإلهي وحق الأسرات " ، إذ خشيت تلك الدول انتشار مبادئ الثورة في بلادها ، ففي عام 1790 م ثار أهالي " أفنيون" ضد أميرهم البابا اعتمادا على مبدأ سيادة الشعب وحقه في تقرير مصيره ، وأعلنوا انضمامهم لفرنسا ، ولما قبض على الملك لويس عشر ثارت أوربا في أعماقها، و سارع ملك بروسيا و إمبراطور النمسا إلى الاجتماع في " بيلنتز" وأصدرا في أوت 1791م بلاغا أعلنا فيه أنهما لن يترددا في استخدام كل الوسائل لقمع الدعوة الثورية وتعزيز الملكية .

وقد اختلفت فرنسا مع خصومها في مسألتين هامتين هما :

- **أولا** : حقوق الأمراء الألمان في الألزاس
- **ثانيا** : تجمع حيوش المهاجرين الفرنسيين في مقاطعات الراين استعدادا للهجوم على فرنسا.

(*)- **الجيروند** : هم جماعة من الجمهوريين المعتدلين ، وترجع تسميتهم بالجيروند إلى أن معظم أعضائها الأولين كانوا نوابا عن إقليم الجيروند (1791م) ، وفي جويلية 1793م طرد اليعاقبة المتطرفون الجيروندييين من المؤتمر الوطني وأعدموا زعمائهم ، المصدر أنظر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 75 .

(1) - عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل ياغي ، مرجع سابق ، ص 287 .

- **إلغاء الملكية و إعلان الجمهورية الأولى** : (22 سبتمبر1792م)

أنتخب المؤتمر بمقتضى قواعد جديدة وضعتها الجمعية التشريعية ، وأهمهما إلغاء الضرائب المالي وتخفيض سن الناخب إلى 21 سنة ، ولذا كان المؤتمر في مجموعة أعضائه لا يختلف كثيرا عن أعضاء بلدية باريس ، وقد عقد المؤتمر أولى جلساته في 20 سبتمبر1792م فجلس الجيرونيد على اليمين ، ولم يكونوا أقل رغبة في الجمهورية مت اليعاقبة ، وغنما جعلوا برنامجهم مكافحة مطامع ذلك الفريق ونزعته إلى السيطرة على البلاد ، أما اليعاقبة المتطرفون ، فقد جلسوا إلى اليسار وكانوا أقل عددا، ولكنهم كانوا أكثر كفاية وأكبر جرأة وأوثق ارتباطا تظاهرهم من الخارج بلدية باريس ، وجلس بين الفريقين جماعة عرفوا باسم " السهل La plain " وكانوا يتبعون رأي الفريق الذي ترجح كفته .

و قد كانت فاتحة أعمال المؤتمر إلغاء الملكية في 21 سبتمبر1792م ، ثم إعلان الجمهورية في 22 سبتمبر1792م ولما جاءت الأنباء بتقدم الجيوش الفرنسية بعد معركة " فالمي Valmy " أصدر المؤتمر قرارا في 19 نوفمبر بتأييد كل امة تطالب بحريتها [1] ، لقد انتصر الجيش الفرنسي في واقعة فالمي التي وقعت بتاريخ 30 سبتمبر1792م على الجيش البروسي بقيادة " برونزويك Brensuiek " الذي اضطر للانسحاب وقد أدى هذا النصر إلى رفع الروح المعنوية للجيش الفرنسي وكان من نتائج هذه المعركة التفاوض بين الطرفين على يدي برونزويك وديموربيه، واتفقا على انسحاب القوات البروسية من " فردان" و" لونجوي" فأصبحت خارج حدود فرنسا[2]، إن صدور القرار بإعلان الجمهورية أثر في تقوية روح المحاربين المعنوية.

- **إعدام الملك** :

لقد حاول الجيروند في تلك الأثناء أن يستردوا السلطة في ظل النظام الجديد ، فوجهوا إلى اليعاقبة تهما زادتهم في الواقع ارتباطا وتساندا، وجعلتهم يشعرون أن لا سبيل إلى تأييد الجمهورية وإرهاب خصوهم والسيطرة على البلاد إلا بإعدام الملك .

فحاولوا استصدار قرار إعدامه من غير محاكمة بتهمة الخيانة العظمى للبلاد إلا أن الجيروند عارضوا هذه المحاولة ، وأفلحوا في حمل المؤتمر على تقرير محاكمته طمعا في إنقاذ حياته ومع أن العرف و الدستور كانا يناقضان هذه المحاكمة .

(*)- يعرف هؤلاء أحيانا باسم " Montagnards " إذا اتخذ زعماؤهم مقاعدهم بأعلى لقاعة في أقصى اليسار و أشهرهم دانتوان وروبسبير ومارا و ديمولان ، المصدر أنظر : زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 46 .

(1)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 46 .

(2) - شوقي عطا لله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ، مرجع سابق ، ص 117 .

فقد مثل الملك أمام المؤتمر ودافع عن نفسه ، كما دافع عنه محاميان ،كاد المؤتمر يقتنع ببراءته ، ولكن روبسبير وقف في الأعضاء وقال أن المؤتمر ليس محكمة وأن أعضاؤه ليسوا قضاة يستطعون أن يتبينوا حقائق نصوص القانون و أن الملك لم يعد متهما بعد أن أدين ، ولخص كلامه فيما يلي :

" فالقضية قضية ظالم أدى سلوكه إلى الثورة وأدى الحكم عليه خلعه من سلطانه فأما العقوبة فتمثل في كفالة حرية الشعب ، إذا كانت الحياة من حق الوطن فيجب أن يمـــوت لويـــس" [1] .

و كان لخطابه وخطب زملائه من التأثير ما جعل المؤتمر يقرر إدانة الملك ، فحاول الجيروند إنقاذه بالمطالبة باستفتاء الشعب في العقوبة التي توقع عليه ، غير أن اليعاقبة أفسدوا حيلتهم بأن حشدوا من غوغاء باريس داخل القاعة وخارجها لإرهاب الأعضاء المعتدلين والمترددين حين أخذت الأصوات في تقدير العقوبة ، ثم اقترح أحدهم ألا يبدي العضو رأيه وهو جالس أو واقف في مكانه كما جرت العادة ، بل الذهاب إلى المنبر و إعلان رأيه من هناك ، فأفزعت الحيلة كثيرا من الأعضاء ودفعتهم إلى الإذعان لرغبة أعدائهم ، وهكذا فاز اليعاقبة بالأغلبية ، وقرر المؤتمر إعدام الملك في 07 جانفي 1793 م ، ونفذ فيه الحكم في 21 جانفي بميدان الجمهورية بباريس[2].

- **تداعيات إعدام الملك** :

1- **<u>داخليا</u>** :

أدى إعدام الملك إلى انتصار حزب الجبل ومعه بقية اليعاقبة وكان في ذلك نذير باقتراب حكم الإرهاب، فهم قد اتهموا بالخيانة كل من امتنع عن الموافقة على إعدام الملك أو التردد في ذلك ولاحت في الأفق بوادر حرب أهلية قد تدبر أمورها في جنوب فرنسا .

لقد عم السخط على اليعاقبة وتجلى ذلك في انضمام ديموروبيه - وكان من اكبر أنصاره الجيروند– إلى الأعداء بعد أن حاول عبثا الزحف على باريس وإنقاذ فرنسا من إرهاب المتطرفين وكذلك استمرات لفتن في أنحاء مختلفة من البلاد على قرار إعدام الملك وإعلان التجنيد العام[3].

(1)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، مرجع سابق ، ص 47 .

(2)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 118 .

(3)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق ، ص 118 .

2- **خارجيا** :

أفزع إعدام لويس السادس عشر ملوك أوربا الذين أصبحوا يتوقعون نفس مصير الملك الفرنسي وصرف الكثيرين عن العطف على الثورة لاسيما بعد أن أخذت الجيوش الفرنسية تتقدم في بلجيكا بعد " فالمي" ،و هنا أخذت بعض هذه الدول تمهد لتكوين حلف يواجهون به ثورة فرنسا اتقاء لخطرها أو للقضاء عليها، و تكون ذلك الحلف من بروسيا والنمسا وبريطانيا و إسبانيا وهولندا وسردينيا (الحلف الأوربي الأول) ، وأدى كل ذلك إلى التفكير في إجراء لا مفر منه وهو تشكيل لجنة عرفت باسم " لجنة الأمن العام " وهي التي ستحكم فرنسا لأكثر من عامين[1] .

(1)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق ، ص 81 .

III) - نتائج الثورة الفرنسية :

أ - النتائج السياسية :

- علمنة الدولة وفصلها عن الكنيسة :

لقد أحلت الثورة دولة علمانية منفصلة عن الكنيسة محل دولة الحق الإلهي و وحدة العرش في بادئ الأمر اكتفت الجمعية التأسيسية بالتسامح البسيط الذي أعلنته المادة 10 من إعلان حقوق الإنسان ، ولكنها في 13 أفريل 1790 م رفضت المحافظة على الكاثــولوكية كديــن الدولة معتبرة " أنها لم تستطع ولا يستطيع أن بيكون لها أية سلطة تمارسها على الضمائر وعلى الآراء الدينية ".

في 18 أوت أزالت الجمعية التشريعية الجمعيات الدينية المختصة بالتعليم والخدمة العامة ووضعت أملاك المستشفيات والمياتم والمعاهد والجامعات برسم البيع ، لقد تعلمن التعليم والخدمة العامة ، وكان قرار 18 أوت يمنع لبس الثوب الديني باستثناء خدام العبادة أثناء ممارسة وظائفهم .

وفي 20 سبتمبر علمنة الجمعية التشريعية الأحوال الشخصية التي أوكل أمرها إلى البلديات وفي اليوم نفسه أقرت الجمعية التشريعية الطلاق معتبرة " إن الزواج ليس سوى عقد مدني ، وأن حرية الطلاق تنجم عن الحرية الفردية التي تفقد بالتعهد المبرم " .

وطرح مسألة زواج الكهنة منذ جويلية 1793 م ، وفي 12 أوت ألغى المؤتمر الوطني " كل عزل لخادم العبادة الكاثولوكية يكون سببه زواج الأفراد المرتبطين لهذه الخدمة كالكهنة المتزوجون يستطيعون العودة إلى تأدية وظيفتهم أو متابعتها ، وكان تبني التقويم الجمهوري وإقامة الأعياد العشرية في 05 أكتوبر 1793 م ثم إزالة المسيحية ومارست أعمال الحياة العامة ، وأقامت عطلة العشرة أيام ، وفي 04 أوت 1798 م ، وفي نهاية المرحلة كان تقلص نفوذ الكنيسة الكاثولوكية وتراجع تأثيرها أمر لا يمكن إنكاره ، وتميزت هذه المرحلة بشقاء الإكليروس و بسوء التنظيم بسبب تخلف الممارسة الدينية ، واستمرت الكنيسة والثورة عدوتين وغير متفقين في الميدان العقائدي .

ب - النتائج الاجتماعية :

ألغي تقسيم الشعب الفرنسي إلى ثلاث طبقات في 4 أوت إلغاء صادق عليه قرار نوفمبر 1789م فقد زال النبلاء و الإكليروس كطبقة ، وبعد أن ألغي كل تمييز بين النبلاء وعامة الشعب رجعت الارستقراطية إلى حال المواطن البسيط.

و في 19 جوان 1790م ألغت الجمعية التأسيسية الشرف الموروث والألقاب والشعارات والمادة السادسة من إعلان حقوق الإنسان 1789 م تعلن قبول جميع المواطنين في سائر الوظائف والمراكز و الأعمال العامة ، وهذا ما أكره قانون الرتب العسكرية ، حيث لم يعد للأصل أي امتياز[1] .

(1)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 538 .

لقد كانت الحقوق الإقطاعية تشكل مداخل شديدة التنوع ، فكثير من الأسر النبيلة كانت تحصل على قسم مهم من موارد رزقها ، لقد ألغيت الحقوق الشخصية التي نجم عنها استغلال القرويين وكذلك العشور وألغيت الجمعية التشريعية شراء الأراضي إلى في حالة تقديم وثيقة ملكية أصلية وقد أرزالها المؤتمر الوطني دون رجعة في 17 جوان 1793 م وأمر بحرق الوثائق الإقطاعية .

كما تم الإعلان عن بيع الممتلكات القومية لطبقة الإكليروس وهي ممتلكات قومية في أصلها الأول وقد وضعت تحت تصرف الأمة منذ 02 نوفمبر 1789 م ، وزالت الاستثناءات بعد صودرت على النتائج : ممتلكات الأوقاف (19 أوت 1791م) ، وممتلكات رهبانية مالطا (19 سبتمبر 1792م) وممتلكات المعاهد (8 مارس 1793م) و مؤسسات الخدمة الاجتماعية (11 جويلية 1794م) و وضعت ممتلكات المهاجرين تحت تصرف الأمة ، وتقرر بيعها في (17 جويلية 1792 م) وتناقص إرث النبلاء العقاري أيضا باسترجاع الأملاك العامة التي استولى عليها الأسياد بواسطة التشريع الوراثة الجديد كما ألغت الجمعية التأسيسية نظام " القرعة " الذي كان يحصل منذ ثلاثين سنة في الأملاك (15 مارس 1790م) حقوق البكورة والذكورة ... والقسمة غير المتساوية بسبب صفة الأشخاص"[1].

1- إجبارية التعليم و المساواة في الحقوق الاجتماعية :

سار تقدم اللغة الفرنسية في الاتجاه نفسه الذي سارت فيه بقية القطاعات ، فأكثرية الفرنسيين لم تكن تتكلم في 1789 م إلا لهجات محلية أو لغات إقليمية وهذا ما كان يحول بشدة بينهم و بين تيارات الحياة الفكرية أو السياسية ، قامت الجمعية التأسيسية لاهتمامها بالاستقلالية المحلية بإصدار أمر في 14 جانفي 1790م بترجمة قراراتها إلى كل اللهجات المستعملة في البلاد .

غير أن المؤتمر الوطني يجعل الفرنسية لغة قومية موحدة، فتوحيد اللغة يساهم لاشك في إحكام وحدة الأمة و جعلها إلزامية في جميع القرارات العامة ، و أصدر قرار بتعيين عشرة أيام لكل مدرس في كل قرية من المحافظات التي يتكلم سكانها اللهجات المختلفة (البريطانية، الايطالية، الباسكية ، الألمانية) [2] .

لقد كان التعليم موضوع اهتمام مستمر من قبل الجمعيات الثورية ، إذ أعلنت الجمعية التأسيسية عن نيتها في تجهيز البلاد بنظام جديد للتعليم وسجلت مبدأ :

" تعليم عام مشترك لجميع المواطنين مجاني بالنسبة لأقسام التعليم ، اللازم لجميع الناس" .

(1)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق ، ص 137 .

(2)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 580 .

و قامت بتامين سير مؤسسات التعليم التي كانت قائمة مضيفة في 28 أكتوبر1790م بيع الممتلكات العائدة إليها وعملت على تمويل المعاهد ، كما أنشأت الجمعية التشريعية لجنة للتعليم العام كان عملها الأساسي تحضير مشروع عن تنظيم شامل للتعليم العام [1].

و سجل المؤتمر الوطني التعليم ضمن حقوق الإنسان ، فقد نصت المادة 22 من إعلان 24 جوان 1793م ، " التعليم حاجة لكل إنسان وعلى المجتمع أن يسهل بكل قدرته تقدم العقل العام، وأن يضع التعليم في متناول جميع المواطنين " .

و كان معترفا لكل المواطنين بحق فتح مدارس خاصة وحرة تحت إشراف السلطات الدستورية كما نال التعليم الثانوي اهتمام كبير أكثر من التعليم الابتدائي لأنه يعد أطر المجتمع الجديد والدولة الجديدة، وفي 25 فيفري 1795م أنشا فانتوز مدرسة مركزية في كل محافظة و فيها يتابع الطلاب ثلاث مراحل دراسية [2].

كما استرعى التعليم العالي اهتمام الجمعية فقد ألغيت الجامعات القديمة وكذلك الأكاديميات وأنشأوا عدة مراكز منها المدرسة المركزية للأشغال العامة ، وثلاث مدارس للصحة في باريس .

ب- الحقوق الاجتماعية :

كان على المساواة في الحقوق التي نادت بها مبادئ الثورة أن تزيل التفاوت في شروط الحياة و يشكل حق الخدمة الاجتماعية مظهرا من مظاهر العيش الكريم فالمهم تامين العيش لكل مواطن و قد تعلمنت المساعدة الاجتماعية واعتبرتها الجمعية التأسيسية خدمة عامة على إثر مصادرة أملاك الإكليروس ، وفي م أنشأت الجمعية التأسيسية لجنة التسول التي أوضحت مذهبها كالآتي :

" للمجتمع حق مساعدة أعضائه في بؤسهم والدولة مسؤولة عن ذلك ومكلفة به "

و أعطى المؤتمر الوطني تشريعا جديدا للمساعدة الاجتماعية، فقد أكد قرار 19 مارس 1793م في موضوع أسس التنظيم العام المساعدات :

- إن لكل إنسان الحق أن يعيش من عمله إذا كان صحيحا ، ومن مساعدات المجانية إذا كان عاجزا عن العمل .
- إن الاهتمام بتأمين العيش للفقير دين قومي [3].

(1)- فوزي فرنسوا ، الثورة الفرنسية في مواجهة الفكر ، م.و.ث ، (د،ط)، تر : رباب العابد، 1999م، دمشق ، ص .

(2)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق ، ص 116 .

(3)- فوزي فرانسوا ، مرجع سابق ، ص .

و استعاد إعلان حقوق 24 جوان 1793 م المبادئ نفسها في المادة : " المساعدات العامة دين مقدس والمجتمع ملزم بإعانته المواطنين البؤساء إما بتأمين العمل لهم ، وإما بتأمين وسائل العيش لمن هم عاجزين عن العمل ، و قد منح نفس القانون مساعدات للأولاد الفقراء أو المتشردين والكهول والمعدمين " .

في 11 ماي 1794 م تم فتح سجل الإحسان القومي الذي ينص على الضمان الاجتماعي الذي كان الثوار يطالبون به ن ولكنه حصر بالأرياف : ويقضي بتقديم مساعدات في كل محافظة إلى عدد محدد من القرويين والحرفيين العاجزين أو البالغين أكثر من ستين سنة ، و من الأمهات والأرامل المسؤولات عن أطفالهن ، وبعد إلغاء الوزارات نظمت مفوضية للمساعدات العامة وهي وزارة مكلفة بتامين توزيع المساعدات الصحية [1].

ج- النتائج الاقتصادية :

على غرار انهيار الارستقراطية ، تابعت الثورة بإصدار تهديم نظام الإنتاج والمبادلة القديم الذي لا يتفق مع انطلاق مشاريعها الرأسمالية ،

و لقد استفادت الطبقات الشعبية في المدينة دون شك حتى زمن إعادة ضرائب الدخولية وإلغاء ضرائب غير مباشرة التي كانت تفني حياتهم .

كما تم القضاء على التجزئة الاقتصادية وإلغاء ضرائب المرور والجمارك الداخلية ، كان تراجع الحواجز حتى الحدود السياسية يوجب توحيد السوق القومية ومن جهة ثانية حمايتها من المزاحمة الأجنبية بتعرفة حماية ، لقد أيقظت حرية الانتقال ومتنت التضامن الاقتصادي بين المناطق المختلفة بمقايس ما يسمح بذلك تطور وسائل المواصلات ، فكان التوحيد الاقتصادي يتطلب نظاما موحدا للأوزان والمكاييل .

فنشأت الجمعية التأسيسية في مارس 1790م لجنة الأوزان و المكاييل وتبنت قواعد النظام الجديد وسوف يؤسس " على قياس خط عرض الأرض والتقسيم العشري" ، وفي 11 جويلية 1792م كانت اللجنة تحدد أقسام الأوزان و المكاييل انطلاقا من وحدتين أساسيتين هما المتر و الغرام .

و تحدد المادة الخامسة من القرار الأخير المتر كما يلي : " مقياس طول يساوي جزءا من عشرة ملايين من قوس خط العرض الأرضي الواقع بين القطب الجنوبي وخط الاستواء " ، أما الغرام : " هو الوزن المطلق لحجم ماء نقي يساوي مكعب جزء من مئة من المتر و في حرارة الجليد الذائب " [2] .

(1)- ألبير سوبول ، مرجع سابق ، ص 585 .

(2)- ألبير سوبول ، المرجع نفسه ، ص 544 .

كما ظهرت برجوازية جديدة وقفزت إلى المرتبة الأولى ، وهي برجوازية المال و الاقتصاد وتسارعت المضاربة و بيع الأملاك القومية وتموين الجيوش وتسليحها وتجهيزها و استثمار البلاد المفتوحة تقدم لرجال الأعمال فرصا جديدة لمضاعفة مشاريعهم .

و ازدهرت الرأسمالية التجارية وظهرت مشاريع ضخمة على الأخص في صناعة النسيج مثال ذلك مصانع " ريشار لينوار" في باريس ، و" لاشو فيتير" في بوردو ، و" فونغريد" في تولوز[1] .

و بدرجة أقل سمحت الظروف لعدد من التجار و الحرفيين في مقياس أدنى ، كي يضاعفوا أعمالهم وينموا مشاريعهم و يضخموا ثرواتهم .

لقد تميزت المؤسسات المالية التي أنشأتها الجمعية التأسيسية على الأخص بالمساواة الضرائبية ، وفرض ثلاث ضرائب مباشرة (عقـــارية ، ضريبة المنقـــولات ، ضريبة سنوية) وقد ضعفت إيرادات الدولة بسبب إلغاء الضريبة غير المباشرة وحرمها من تحصيلات مهمة ومنتظمة .

لقد أعاد المؤتمر الوطني النظر في نظام الضرائب الذي اعتمدته الجمعية التأسيسية فحذف في مارس م الضريبة السنوية ، وقرر النظر بعين الاعتبار إلى مداخيل الصناعة والتجارة لدى فرض ضريبة المنقولات (المسقفات) .

(1)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق ، ص 108 .

د- ردود الأفعال الخارجية :

اختلفت ردود الأفعال الخارجية حول ما يجري في فرنسا فكانت متباينة :

1- **الدولة العثمانية و الدول الأوربية** :

عندما لاحت الثورة الفرنسية في الأفق وبدأت أخطارها تظهر في مختلف الأصعدة في أوربا وجدت شعورا قويا عند الدول الأوربية و معها روسيا بأن الوقت قد حان للتعاطف مع الدولة العثمانية خوفا من استفحال الثورة النابولية وهيمنة فرنسا على القارة الأوربية ، فرأت ضرورة التوصل إلى معاهدة مع الدولة العثمانية لجمع الشمل الأوربي أمام الحركة النابولية التوسعية والأطماع الفرنسية ، ونجحت الدول الأوربية في وساطتها وتم عقد معاهدة " زشتوى " في 04 أوت 1791 م .

لذا تحالفت كلا من النمسا ، بروسيا ، هولندا ، سردينا ، البرتغال ، إسبانيا ، روسيا وسميت بـــ " التكتلات السبعة Les Sept Coalitions " تلك المعارضة الأوربية الموحدة ضد الجمهورية الفرنسية .

و قد كانت الدولة العثمانية طرفا في هذه التكتلات وطبعها كخلافة وراثية - أي نظام ملكي هي أيضا – جعلها في صف الملوك ضد هذه " البدعة الجمهورية " .

2- **أما الجزائر كجمهورية مستقلة عن الدولة العثمانية** :

فقد سارعت إلى الاعتراف بهذه الجمهورية الفرنسية الجديدة الأولى في أوربا ، بل أكثر من ذلك فقد ساندت فرنسا في محنتها وأمدتها بالمساعدات التي تحتاجها وهذا ما تثبته المراسلات والاتفاقيات بين البلدين [1] .

(1)- محمد علي الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، شركة الأمل للتجهيزات الفنية ، ط1، مصر، 2001م ص 323 .

الفصل الثالث

دور البحرية في فك الحصار المفروض على فرنسا

ا) - التحالف الأوربي وفرض الحصار على فرنسا :

حينما صمدت جيوش المتطوعين الفرنسيين في فالمي أما جيوش أوربا المدربة في المرحلة الأولى من حروب الثورة ، وقع هذا النصر وقعا شديدا في نفوس المتطوعين فطفقوا غداة هذا الانتصار يتحولون من الدفاع إلى الهجوم حتى تمكنوا في غضون شهر واحد من الاستيلاء على مقاطعتين من أملاك سردينا، وهما مقاطعتا " السافوي ونيس"، فضلا عن الاستيلاء على عدة مقاطعات ألمانية تقع على الضفة اليسر من الداين ، وفي نوفمبر1792 م دخلوا أراضي البلجيك وطاردوا النمساويين حتى اضطروهم بعد موقعة جيمباب إلى التخلي عن بلجيكا نهائيا (نوفمبر1792 م) .

و كان استيلاء الفرنسيين على بلجيكا بداية تحول خطير في السياسة الدولية ، فعلى الرغم مما أعلنته فرنسا في بداية الحرب من أنها لا تبغي من ورائها سوى الدفاع عن حريتها واستقلالها كان انتصار جيوشها حافزا لها على إحياء تقاليد الملكية القديمة ، وهي العمل على الوصول إلى حدود فرنسا الطبيعية " البرانس والراين " ، ومن ثم أنكر المؤتمر الوطني التصريحات الأولى لرجال الثورة ، وأعلن في سنة 1793 م مبدأ ضم الأراضي المفتوحة أي أعلن تمسك بسياسة الفتح والاستيلاء ، لا سياسة الدفاع عن البلاد فحسب [1] .

إن انجلترا تابعت منذ العصر الوسطى سياسة ثابتة في علاقتها الخارجية ، وهي ألا تسمح بأي حال من الأحوال لفرنسا بالسيطرة على بلجيك ، ولذا أعلنت الحرب على فرنسا في 31 جانفي 1793 م وأعلن " ويلم بت Pitt " رئيس وزرائها أن هذه الحرب حرب حياة أو موت بالنسبة لبلاده و كان أول عمل قامت به انجلترا أن طردت سفير فرنسا لديها ، وفهمت فرنسا من ذلك قيام العداء الصريح الذي قد يعقبه إعلان الحرب عليها ، و لتطويق فرنسا عمدت انجلترا إلى التحالف مع الدول التي كانت قد أعلنت الحرب على فرنسا أو قطعت علاقاتها معها على إثر إعدام الملك لويس السادس عشر ، وهي : النمسا ن بروسيا ، هولندا ، سردينيا ، البرتغال ، إسبانيا ، روسيا فتكونت بذلك قوة حربية كبيرة كان يتعذر على فرنسا مقاومتها [2] .

و بذلك وجدت فرنسا نفسها في حرب مع أوربا كلها إذا استثنيا سويسرا و الدول الاسكندينافية و قد كان الوضع الداخلي لفرنسا خطير فقد تميز بنشوب الحرب الأهلية و الأزمة الاقتصادية وبلغت الأزمة ذروتها باشتداد الصراع بين الجير وندبين و الجبليين .

---

(1)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق، ص 119 .

(2)- قاسم محمد و أحمد نجيب هاشم ، المرجع نفسه ، ص 56 .

حلت أول النكبات بالجيش الفرنسي في بلجيكا التي كانت مسرحا لأول انتصارات الثورة الحاسمة ، فقد كان لدى البلجيكيين بعض الاستعداد للترحيب بالفرنسيين لتخليصهم من سيطرة النمسا ، ولكن الإجراءات التي اتخذها هؤلاء الأخيرين لحكم البلاد سرعان ما قضت على شعبيتهم فقد عمدوا إلى اضطهاد الكنيسة وفرضوا على البلاد عملتهم الورقية و الأسوأ من هذا كله أنهم أعلنوا ضم البلاد إلى فرنسا استنادا إلى بعض العرائض التي قدمت لهم ، فجلبوا على أنفسهم العداء الأكيد من بلد كان من الجائز أن يصبح حليفهم [1] ، و كانت هذه السياسة من إملاء باريس وقد اعترض عليها " ديموريبه " * ، قائد الجيوش الفرنسية دون طائل ، وتلقى من القيادة العامة أمرا بالتقدم إلى هولندا .

أطاع " ديموريبه " مكرها أوامر المؤتمر الوطني للتقدم لغزو هولندا في فيفري م لأنه يرى أن بلجيكا في حالة خطرة ن ولا يمكن الاطمئنان إليها كمؤخرة لزحفه ، إذا بالتوفيق يحالفه في مراحل الحرب الأولى ، ولكنه لم يلبث أن اضطر في 18 مارس 1793 م إلى التقهقر والتراجع لحماية قوات ملازمة " ميراندا Miranda " الذي يتعرض لهجوم النمساويين فالتحم مع العدو في معركة " نيرفندن Neevinden " التي أسفرت عن هزيمة الجيش الفرنسي وانتصار النمساويين وكانت الهزيمة ضربة قاسية لفرنسا .

لم يتفق الأمر عند أنباء الهزيمة بل تلقت فرنسا مصابا أشد فداحة ، وهي أنباء تفيد بمحاولة " ديموريبه " إثارة الجند على الثورة و الاستعانة بهم للعمل على تنصيب ابن دوق أوليان ملكا على فرنسا ، إلا أن ديموريبه لم ينجح في ذلك واضطر للهرب إلى صفوف العدو في أفريل 1793م [2] ، كان الموقف الخارجي خطيرا و قد زاد من خطورته نشوب قلاقل كبيرة في الداخل فقد ظهرت إلى جنوب اللوار في المنطقة المعروفة باسم " لأفندية " **، حركة تطورت إلى حرب أهلية وظلت طوال عامين تستنزف كل القوى التي تستطيع فرنسا الاستغناء عنها في صراعها الخارجي ، وظلت الشغل الشاغل للي عاقبة أثناء مواجهتهم للخطر الخارجي .

---

(1)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق، ص 80 .

(*)- **ديموريبه** : كانت له خبراته العديدة التي اكتسبها من عمله في مختلف المناصب ، ومنها عمله في وزارتي الخارجية و الحربية وكان للرجل طبيعته المفعمة بالنشاط و التفاؤل ، كان يرى انه لإنقاذ الملكية يجب القضاء على أعدائها في الخارج ، ويرى أن خير ما يبدأ به التفرقة بين النمسا وبروسيا و مهاجمة الأراضي المنخفضة .

(2)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق، ص 121 .

(**)- **لأفندية** : تختلف في طبيعتها عن بقية فرنسا ، إذا كان نبلاؤها وملاكها يقيمون في ضياعهم ، وكان فلاحوها يكنون الولاء للكنيسة ، ولا يضمرون عداء للنبلاء ، وكان الإقليم في كثير من جهاته مكسوا بالغابات التي يصعب اختراقها ويسهل الدفاع عنها المصدر أنظر : أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق، ص 81 .

بادر المؤتمر باتخاذ تدابير حازمة وسريعة لمواجهة الأخطار المتفاقمة داخليا وخارجيا ، فركز السلطة في يد الحكومة و أتاح لها القدرة على التصرف بسرعة و في سرية دون التقيد بأي قوانين أو قواعد تحد من نشاطها ، وقد أبدت الأحداث التالية المخاوف التي أثارها اليعاقبة عندما هاجموا المؤتمر موضعين الأخطار الجسام التي تتعرض لها البلاد ، وقد أضطر الجيروند في المؤتمر بسبب تلك العوامل إلى الموافقة على إجراءات العنف التي طالب بها أعدائهم من اليعاقبة وكان اشتراك بعضهم في ثورة لأفندية وخشيتهم من أن يهتموا بممالأتهم للحركة فيها مما جعلهم يوافقون على سائر القرارات التالية [1]:

1- قرار 19 مارس 1793 م ويقضي بتجنيد النبلاء و رجال الدين .
2- قرار 21 مارس 1793 م ويقضي بإقامة هيئة ثورية في كل كومون .
3- قرارات خاصة بمعاقبة المهاجرين صدرت في 5 أفريل 1793 م .
4- وفي 29 مارس صدر قرار بتشكيل محكمة الثورة للنظر في أمر جميع المتهمين بمناهضة الحكومة .
5- تكوين جيش الثورة داخل فرنسا في 5 أفريل 1793 م .
6- تم تشكيل " لجنة الأمن العام " في 6 أفريل 1793م ، وهي هيئة قدر لها أن تحكم فرنسا أكثر من عامين و أن تقودها إلى النصر و الخلاص من الاضطرابات الداخلية ، وقــد ترأسها "دانتون* " وشكلت من تسعة أعضاء و وضعت تحت تصرفهم مبالغ طائلة [2] .

(1)- زينب عصمت راشد ، مرجع سابق، ص 122 .

(*)- **دانتون** : لصق اسم دانتون بالعنف و الوحشية وارتكابه لمجاز سبتمبر م و إراقة دماء معارضه و استعمال القوة العنف في تطبيق أرائه و وجهات نظره ، على الرغم من هذا كله كان دانتون سياسيا و وطنيا كبيرا نافذ البصيرة ، كما اتصف بثقافته الواسعة و إطلاعه الكبير ، مارس كهنة المحاماة و اظهر فيها براعة ، كان دانتون مخلصا للثورة والوطن ، ومن آرائه الممتازة أنه كان يرى أن وحدة فرنسا لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل حكم جمهوري ، كما يؤمن بالتسامح الديني ، المصدر أنظر : زينب عصمت راشد ، المرجع نفسه ص 77.

(2)- أ. جرانت ، هارولد تمبدلي ، مرجع سابق، ص 82 .

II)- فرنسا تستنجد بالأسطول الجزائري قبل الثورة :

نظرا لما للأسطول الجزائري من قوة وبأس في القرن السادس عشر، وماله من فعالية الأحداث الدولية ، ونظرا لما حققه من انتصارات ضد القراصنة والغزاة الأوربيين ، خاصة شارلكان الإسباني ، ونظرا لما كانت تعانيه فرنسا من مشاكل داخلية وخارجية ، فقد اضطرت أن تستنجد بأسطول الجزائر أكثر من مرة ليساعده على قمع بعض الثورات الداخلية و اعتداءات شارلكان الاسباني الخارجية .

ففي خلال 1535م/1536م استنجد فرنسوا الأول بخير الدين باشا الذي قاد أسطوله إلى مرسيليا لمواجهة تمرد الهيجنوت الثائرين على السلطات الفرنسية المحلية ، وفي خلال عامي 1543-1544 م استنجد مرة أخرى بخير الدين الذي قاد أسطوله إلى مرسيليا ، حيث انضـــم إليه " دوق انجلـــوا Duc D'Enjieu" قائد الأسطول الفرنسي واقتحموا مدينة " فرانش Franche "، وحاصروا " دوق سافو" في مدينة " نيس " و طردوه منها وحرروها ثم اتجه خير الدين إلى ميناء " طولون " ووجه من هناك عددا من مراكبه لتغزو الشواطئ الاسبانية وتؤدب قراصنة شارلكان الاسباني [1] .

استنجد " هنري الثاني Henri II " بأحد خلفاء " خير الدين البايلر " " باي صالح رايس " سنة 1553 م و أنجده ضد نفس العدو " فيليب الثاني ابن شارلكان " .

يقول دي غرامون : " في سنة 1552 م أرسل الملك " هنري الثاني " مبعوثه الخاص " الفارس دالبيس Le chevalier D'al bisse " لدعوة صالح رايس إلى محاصرة الشطوط الاسبانية ، وقد أجاب صالح رايس بايلري الجزائر طلب ملك فرنسا ، وحل بميورقة في جويلية 1553 م ، على رأس أربعين سفينة حربية وأرسى بها وفي هذه الأثناء أرسل بأسطوله لمساعدة الفرنسيين " .

" إن ذلك التحالف بين " فرانسوا الأول* " و" خير الدين" ضد " شارلكان" ، قد تواصل غي عهد " صالح رايس" أحد حلفاء " خير الدين "و " هنري الثاني " ابن " فرانسوا الأول" ضد " فيليب الثاني " ابن " شارلكان" ، مضعفين بذلك إمبراطورية " شارلكان " وخلفه بعده ابنه " فيلب الثاني" مما حفظ فرنسا من الغزو الاسباني و التمزق " .

---

(1)- يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أوربيا 1830/1500 م ، مرجع سابق، ص ص 47-48 .

(*)- **فرانسوا الأول** : (1515م/1547م) تولى عرش فرنسا بعد وفاة أحد أعمامه " الملك لويس الثاني عشر" ، قام بمجرد توليه السلطة بمواصلة سياسة أسلافه اتجاه ايطاليا ، فاجتاز على رأس قواته جبال الألب ثم ألحق هزيمة بالسويسريين عام 1515م ، ركز جهوده على مواجهة شارل الخامس و أسرة هابسورغ .

وقام فرنسوا الأول عام 1539 م باستبدال الفرنسية باللاتينية في دواوين الدولة وفرارات المحاكم ، كما شجع حركة الآداب والفنون جلب العديد من السياسيين على رأسهم ليوناردو دافينشي ، وأسس المطبعة الوطنية ، أبدى تسامحا اتجاه الحركات البروتستانتية ، ثم غير رأيه وأطلق يد البرلمان في استصدار قوانين ضد أتباع هذا المذهب ، انظر المصدر : الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

و في عام 1593 م استنجد "هنري الرابع الفرنسي " بالقوات العثمانية ليرغم سكان مرسيليا بالاعتراف بسلطته ، فأمر السلطان العثماني " مراد الثالث " والي الجزائر خضر باشا بإنجاده ووجه إله قوات بحرية جزائرية أرغمت السكان على الاعتراف بسلطة ملكهم هنري الرابع وذلك عام 1596 م .

و في عام 1676 م طلب أرباب السفن الفرنسيين في مرسيليا من البحارة الجزائريين دراسة مراكب الشحن الفرنسية الكبيرة ذات الحمولات المهمة ، وتكلف الرايسان الجزائريان " مامي صمصون و ميزو مورتو" بذلك ، وعندما عزم المبعوث الفرنسي " جاك فيلوت Jacques Veillotte " على مغادرة اسطنبول إلى مرسيليا بحرا وخاف أن يقع في أيدي أعداء فرنسا اقتاده بحارة جزائريون من نهاك إلى عنابة عبر خليج سرت وشواطئ تونس .

و كذلك استنجد " الملك الشمس Le Roi-soleil " ، أي " لويس الرابع عشر" ملك فرنسا ، برئيس دولة الجزائر " الداي شعبان " في آخر سنة م ، ضد كلا من انجلترا وهولندا مجتمعين فطلب منه أن يعلن حربا على كل من الدولتين اللتين كانتا تهددان فرنسا .

" في تلك الظروف المضطربة التي ساد فيها الهرج في أوربا ، بحثت فرنسا عن سند لها في الجزائر ، وطلبت من الداي شعبان أن يشن حربا على هولندا و انجلترا " [1] .

في عام 1708م قادت أربعة مراكب جزائرية القنصل الفرنسي إلى " طهران " ليلتحق بمنصبه وذلك بطلب من " لويس الرابع عشر" الذي كان في حروب طويلة مع معظم بلدان أوربا و تخوف أن يقع سفيره في أيدي أعدائه [2] .

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص ص 19-20 .

(2) -Moulay Belhmissi, Op.cit , P 151-154 .

III) - العلاقات الجزائرية الفرنسية و استنجاد فرنسا بالجزائر بعد الثورة :

- العلاقات الجزائرية الفرنسية :

بدأت العلاقات الجزائرية الفرنسية ودية وطيبة ، كانت علاقات تجارية يتبادلون من خلالها المنافع ، إذ يقول المؤرخ الفرنسي " دوفول Devoulx " عن نشأة العلاقات بين الجزائر و فرنسا :

" لقد كانت لمرسيليا منذ القرن الثالث عشر ميلادي علاقات تجارية بالسواحل المغاربية متنافسة في ذلك مع" الجنوبين Les génois " و" البيشيين Les pisans " و" القطلونين Les catalans " .

" وهكذا عقد حكام مرسيليا في بداية القرن الرابع عشر ميلادي معاهدة تجارة و ملاحة مع ملك بجاية خالد زكريا ".

على أن المؤرخ الأمريكي " سبنسر" يقول:" إن هذه المعاهدة عقدت في القرن الثاني عشر وليس في القرن الرابع عشر " [1] .

و كان المرسيليون يأتون إلى بجاية بمعادن، وأقمشة، وآلات حديدية، ويأخذون منها خيولا أصوافا، وزيوتنا، وشموعا، جلودا ، وهذه الأخيرة كانوا يعيدون بيعها بأثمان غالية في إسبانيا وإيطاليا [2] .

ثم أخذت العلاقات الجزائرية الفرنسية شكلا جديدا، إذ تطورت كثيرا وازدادت وثوقا، و ذلك بباردة من فرنسا التي كانت حريصة على اكتساب ود الجزائر وذلك ابتداء من سنة 1534 م ، حيث حل مبعوث خير الدين - رئيس دولة الجزائريين – بفرنسا بدعوة من ملكها " فرانسوا الأول " وعقدت بينهما ومبعوث السلطان العثماني " سليمان القانوني" * : " المعاهدة الثلاثية Le traité Tripartite " و"معاهدة شاتيلور Le traité de Châtellerault " باسم المدينة التي تم فيها اللقاء وعقد المعاهدة و إثرها توجه السفير الفرنسي الأول إلى الجزائر "جان دي لافوري Jean de la forêt "، ثم فيما بعد إلى اسطنبول وأصبح الحلف الثلاثي رسميا سنة 1536 م [3] .

---

(1)- ويليام سبنر ، الجزائر في عهد رياس ، مرجع سابق، ص 148 .

(2)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 8 .

(*)- **سليمان القانوني** : هو سليمان خان الأول بن سليم خان الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح ، صاحب أطول فترة حكم (1566/1520) عرف القانوني لما قام به من إصلاح في النظام القضائي تهم المجتمع و التعليم والجباية ن أصبح سليمان حاكما بارزا حيث حكم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من إفريقيا الشمالية حتى الجزائر ، كما سطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر الخيلج ، انظر المصدر : الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

(3)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، آنية و أصالة ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، (د.ط)، 1975 م الجزائر ، ص 273 .

ثم عين قنصل فرنسي آخر سنة 1538 م ، وكان أول قنصل أوربي وهو يمثل في البدء جميع الأوربيين ، وبالتوازي مع بدء العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا ببادرة من هذه الأخيرة أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر طابعا قارا ، إذ أنشأت فرنسا انطلاقا من معاهدة 1534 م مركزا تجاريا في مدينة " القالة " لتصدير الحبوب وخاصة القمح ولصيد المرجان وتصديره إلى فرنسا أيضا وذلك سنة 1561 م .

بل نجد فرنسا غير مقتنعة بالمعاهدتين السابقتي الذكر، المعاهدة مع ملك بجاية في القرن الثاني عشر و المعاهدة الثلاثية مع خير الدين سنة 1534 م ، إذا أخذت تلح على عقد معاهدة جديدة للتحالف العسكري .

و هكذا يكتب سفير فرنسا من اسطنبول " بيتر يمول Petrémol " إلى " كاترين دي ميديسيس Catherine de Médicis " : " الوصية على عرش فرنسا في طفولة ابنها الذي أصبح فيما بعد شارل التاسع " في رسالة منه بتاريخ 15 جويلية 1561 م يقول لها فيها : " إنه رجا الصدر الأعظم في أن يوصى الجزائر" البايلرباي* الجديد أحمد باشا " ، خيرا بفرنسا لتقبل الجزائر بالتحالف مع فرنسا " [1].

يقول دوغراموان : " وذلك أن العلاقات بين الدولتين الجزائرية والفرنسية كانت وثيقة ، وهكذا كانت الجزائر منذ نشأتها سندا قويا لملوكنا في الحروب التي عانوها من عدوهم القوي " شارلكان" ثم توثقت العلاقات أكثر بين الدولتين واستقبلت فرنسا خير الدين " رئيس دولة الجزائر " في مرسيليا بحفاوة بالغة و أغدقت عليه الهدايا " [2] .

- **المعاهدات بين الجزائر و فرنسا** :

بلغ عدد المعاهدات بين الجزائر و فرنسا السبعين معاهدة وتعود بدايتها إلى أواخر القرن الثاني عشر ميلادي ، وسنسرد البعض منها الآتي :

فبالإضافة إلى المعاهدتين السابقتين الذكر (مع ملك بجاية والمعاهدة الثلاثية) نجد :

1- معاهدة السلم و تجارة بين " حسين باشا " رئيس دولة الجزائر و " لويس الثالث عشر" ملك فرنسا المنعقدة في مدينة " تور" يوم 21 مارس 1619 م " Le traité de Tours "

(*)- **البايلرباي** : بهذه الصفة " باي البايات " كان مشرفا على باي تونس و باش طرابلس و مسؤولا عنهما .

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 11 .

(2) - De. Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque, P 156.

كان المقصود بهذه المعاهدة وضع حد لنزاع طويل و قديم بين الجزائر و فرنسا حول " فعين برونزيين" كان فر بهما من الجزائر ضابط بحري هولندي اسمه " سيمون دانسر Simon Danser *" وأهداهما للدوق " دي غيز Duc de Guise " وزير بحرية " لويس الثالث عشر" و استقر في مرسيليا فيما بعد [1] .

لم يهدأ الجو إلا بعد أن أرسل الملك الفرنسي " لويس الثالث عشر" مبعوثا خاصا ومعه المدفعان إلى الجزائر يوم 20 جويلية 1620 م .

2- معاهدة سلم دائمة و تجارة " Le traité de Paix Perpétuelle et de Commerce " بين " حسين باشا " و " لويس الثالث عشر" عقدت بالجزائر يوم 19 سبتمبر1628 م، بحضور الأغا وقائد الحرس و المفتي و القاضيين " الحنفي و المالكي" ورجال الشريعة و الديوان الكبير.

3- اتفاقية اقتصادية بين "حسين باشا " و" لويس الثالث عشر" يوم 23 سبتمبر 1628 م .

4- معاهدة سلم و تجارة في 7 جويلية 1640 م بين " يوسف باشا " و" لويس الثالث عشر" .

5- اتفاقية تجارة بين " الأغا إبراهيم " و" لويس الرابع عشر" بتاريخ 09 فيفري 1661 م .

6- معاهدة سلم و تجارة في 12 فيفري 1670 م بين " الداي حاجي محمد " و" لويس الرابع عشر" .

7- معاهدة سلم " لمائة سنة Le traité de Paix Centenaire " بين الداي شعبان " و" لويس الرابع عشر" بتاريخ 24 سبتمبر 1689 م [2] .

و بعد عقد هذه المعاهدات نجد " لويس الرابع عشر" يبعث رسالة إلى " الداي شعبان " يعرض عليه فيها كل التسهيلات و المساعدات للأسطول الجزائري في الموانى الفرنسية وخاصة منها في " ميناء بريست Brest " : " وستلقى سفنكم الحربية في هذه الموانئ نفس المعاملة التي تلقاها سفننا تماما " وحثه فيها على التعرض للسفن الانجليزية والهولندية لما في ذلك من أرباح عظيمة ومن انتشار للسمعة في أوربا (أنظر ملحق 03 شكل 104) .

8- اتفاقية اقتصادية بينهما بتاريخ 05 ماي 1690 م .

9- تجديد هذه الاتفاقية في 1692 م .

10- اتفاقية اقتصادية بينهما أيضا بتاريخ 03 جانفي 1694 م .

(**)- **سيمون دانسر**: كان قد تظاهر باعتناق الإسلام ثم رجع إلى النصرانية ، وغير اسمه إلى اسم مراد رايس وهو غير مراد رايس الذي ترك اسمه على الحي المعروف اليوم بهذا الاسم لأن هذا كان ألبانيا مسلما ، المصدر : مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 58 .

(1)- جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ، منشورات وزارة المجاهدين ، مج ، (د.ط) ، 2009م ، الجزائر ، ص 201 .

(2)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 60 .

و هنا رسالة أخرى من " لويس الرابع عشر" إلى" الداي الجديد الحاج أحمد " يهنئه فيها بانتخابه " دايا لجمهورية الجزائر" ويتمنى له فيها كل خير وبركة [1] (أنظر ملحق 03 شكل 106) .

11- اتفاقية اقتصادية في 19 جويلية 1700 م بين " الداي علي " و " لويس الرابع عشر" .

و تلقى " الداي الجديد مصطفى" رسالة تهنئة من " لويس الرابع عشر" يؤكد له فيها نفس النوايا بعد تجديد مصادقة الداي على المعاهدات السابقة ، حسب العرف المتبع الذي يقضي بتجديد المصادقة على المعاهدات السابقة كلما انتخب رئيس دولة جديد (أنظر ملحق 03 شكل 108) .

12- تجديد معاهدة السلم في نوفمبر1705 م بين " الداي مصطفى " و " لويس الرابع عشر" وأرسل جوابا إلى الداي الجديد " حسين خوجة " يهنئه فيه - لويس الرابع عشر- بتولية رئاســـــة جمهورية الجزائر.، ويعبر له عن عواطفه وتقديره وصدق نواياه ، ثم لا ينس أبدا كالعادة أن يؤكد أهمية الحفاظ على المعاهدات بين البلدين (أنظر ملحق 03 شكل 111) .

13- تجديد الاتفاقية الاقتصادية في 30 مارس 1710 م بين " الداي دالي إبراهيم " و" لويس الرابع عشر" في هذه الأثناء أنتخب داي جديد ، هو" علي شاوش" ، فأجابه " لويس الرابع عشر" برسالة أكد له فيها أهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة بين رعاياه و رعايا جمهورية الجزائر، ثم يتمنى له في الأخير حكومة أكثر استقرار (أنظر ملحق 03 شكل 112) .

14- معاهدة سلم وتجارة في23 ماي 1767 م بين" الداي محمد عثمان*"و" لويس الخامس عشر".

15- تجديدها يوم 10 جوان 1768 م بين" الداي محمد عثمان " و" لويس الخامس عشر"[2] .

و في سنة 1774 م مات " لويس الخامس عشر"**، وخلفه " لويس السادس عشر" فبعث رسالة إلى " الداي محمد عثمان " يخبره فيها بوفاة سلفه ، وبتعيينه مكانه تطبقا للحقوق الموروثة - القوانين الأساسية لإمبراطورية فرنسا – ويؤكد له حرصه على استمرار السلم والصداقة بين البلدين وتوطيدها (أنظر ملحق 03 شكل 117) .

---

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، نفس مرجع ، ص 70 .

(*)- **محمد عثمان باشا** : 1765م حاكم جزائري عثماني ، ما إن تولى الحكم حتى بدا في تقوية الأسطول البحري وفي عهده نشبت الحرب بين الجزائر و الدانمارك واضطرت الدانمارك إلى الاستجابة لجميع الشروط الجزائرية مقابل السلام ، كما وضع خطة لزيادة تحصينات المدن الجزائرية ، كما قام بمهاجمة الحامية الإسبانية بوهران وهزم حملة شارل الثالثة سنة 1770م توفي الداي 1791 م نتيجة مرض ألم به ، بعد أن قضى أطول فترة حكم تجاوزت 25 سنة وخلفه الداي حسين باشا .

(2)- جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ، مرجع سابق، ص 201 .

(**)- **لويس الخامس عشر** : ملك فرنسا من 1715م/1774م ، تولى العرش الفرنسي بعد وفاة الملك " الرابع عشر " عانى الملك الفرنسي من وفاة جميع أفراد أسرته ، كما تمتع بسمعة طيبة في بادية فترة حكمه و بالرغم من هذا فإن سياسته الخاصة بالإصلاح في النظام الملكي الفرنسي وسياسته الخارجية على الساحة الأوربية أفقدتاه دعما شعبيا توفي سنة 1774م ليخلفه " لويس السادس عشر ".

16- معاهدة سلم وتجارة في فيفري 1790 م بين" الداي محمد عثمان " و" لويس السادس عشر".

كما أرسل " الداي محمد عثمان" جوابا على رسالة " لويس السادس عشر" التي كان قدمها له المبعوث الخاص من الملك وفيه ذكر للمصادقة على المعاهدات السابقة الذكر (أنظر ملحق 03 شكل أ123، ب123) .

17- تجديد معاهدة السلم والتجارة في فاتح جوان 1791 م بينهما .

و هنا نجد رسالة من " الداي الجديد حسن (أوبابا حسن) " إلى " لويس السادس عشر" يعلمه فيها بوفاة " الداي محمد عثمان " وانتخابه خلفا له ، ويستعير منه سفينة لتحمل وفدا جزائريا مع هدية إلى الخليفة العثماني رمز للولاء الروحي المعنوي (أنظر ملحق 03 شكل أ124، ب124) ، و يأتيه مباشرة جواب " لويس السادس عشر" يهنئه فيه ويجيبه إلى طلبه (أنظر ملحق 03 شكل125).

IV)- دور البحرية في نجدة فرنسا :

كان من جراء حوادث الثورة الكبرى بفرنسا (1793 م/1207 هـــ) والضائقة الاقتصادية الشديدة التي أصابتها بسبب الحصار الذي ضربه عليها حلفاؤها أمثال بريطانيا العظمى وغيرها أن تعرضت بذلك إلى أيام محنة ومجاعة عظيمة ، فكانت لذلك مضطرة إلى الاستنجاد بحكومة الجزائر واستمدادها ليد المساعدة لها ، بإنقاذها من هذه المسبغة والفاقة الشديدة ، وتوسط في ذلك القنصل الفرنسي بالجزائر " فاليار" فلبت الجزائر نداءها وأمدتها بالأموال ومنحتها قروض مالية بدون فائض ولا ربا [1] ، وذلك رغم كل المساعي الحثيثة التي بذلها قنصل بريطانيا لدى حكومة الداي ليحول بينه وبين تقديم المساعدة إلى فرنسا [2] ، فخيب الداي سعيه ورفض مطالبه، و تعهد لفرنسا بتموينها و إمدادها بكل ما هي في حاجة إليه من محصولات الجزائر .

في ماي 1793 م بعث المجلس التنفيذي المؤقت للجمهورية الفرنسية " الدير كتورار" رسالة إلى " سيدي حسن "، داي الجزائر ، يعلمه فيها بالتغيرات الطارئة في فرنسا ، ويرسل بأوراق الاعتماد لممثليه الدبلوماسي في الجزائر مجدد له الثقة (أنظر ملحق 03 شكل125) .

و أجابه " الداي حسن* " بتاريخ ماي معترفا بالجمهورية الفرنسية الأولى ومجددا المصادقة على المعاهدات الجزائرية الفرنسية السابقة للثورة الفرنسية (أنظر ملحق 03 شكل125) .

و قد عد هذا التجديد للمعاهدات السابقة معاهدة بذاتها في جميع السجلات الفرنسية و غيرها للمعاهدات الدولية .

فهنا يبدأ فصل جديد في العلاقات بين الجزائر وفرنسا ، فقد قدمت الجزائر لفرنسا في ظروف الشدة ، وفي أحلك ظروفها أثناء الثورة الفرنسية والجمهورية الفرنسية الأولى، أربعة أنواع من المساعدات ، هذه المساعدات الجزائرية لفرنسا هي :

1. المساعدة الدبلوماسية .
2. المساعدة بالمواد الإستراتيجية العسكرية والحربية .
3. المساعدة الاقتصادية .
4. المساعدة المالية .

---

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 110 .

(2)- عبد الرحمان الالجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة ، ج3، (ب.ط)، بيروت ،1980م ، ص 276 .

(*)- **الداي حسن** : هو الباشا حسن بن حسين تولى سنة 1792م / 1798م ، اشتغل قرصانا في شبابه ، وكان قبل الوصول إلى مرتبة الداي وكيلا للحرج أي وزير للبحرية ، وكان يهتم كل الاهتمام بالشؤون البحرية، حيث كان يستقدم أحسن الرجال الشجعان أعمل كرياس بحر في البحرية الجزائرية، المصدر انظر : ألبير دوفال ، مرجع سابق ، ص 19 .

أ. **المساعدة الدبلوماسية** : تتمثل هي نفسها في ثلاثة أصناف :

1. **الصنف الأول** : هو الاعتراف بالجمهورية الفرنسية الأولى برسالة من الداي حسين 20 ماي1793 م (أنظر ملحق 03 شكل126) بمجرد أن سلم سفير الجمهورية الفرنسية في الجزائر رسالة بذلك من قادتها إلى الداي في الجزائر بعد إعلانها ببضعة أشهر فقط، وكان اعتراف الجزائر بالجمهورية الفرنسية الأولى أول (أنظر ملحق 03 شكل126) ، أول اعتراف على الإطلاق يأتيها من العالم، إذ كانت أول جمهورية في أوربا التي كان يسود فيها النظام الملكي، والقيصري الإمبراطوري ، وقـــد تجسمت فيما يسمى بالتكتلات السبعة (07) تلك المعارضة الأوربية الموحدة " Les Sept Coalitions " ضد الجمهورية الفرنسية و استمرت حتى بعد تتويج نابليون نفسه قيصرا وقد امتدت تلك التكتلات أكثر من عشرين سنة بدأت سنة 1793 م وبعد إعلان الجمهورية الفرنسية ولم تنته إلا بسقوط نابليون للمرة الثانية والنهائية سنة 1815 م .

2. **الصنف الثاني** : من هذه المساعدة الدبلوماسية الجزائرية لفرنسا يتمثل في تجديد صلاحية جميع المعاهدات الجزائرية الفرنسية المنعقدة قبل الثورة واعتبارها سارية المفعول لفائدة الجمهورية الفرنسية ، بناءا على طلبها الكتابي الذي قدمه سفيرها " الداي حسين " .

3. **الصنف الثالث** : من هذا الدعم الدبلوماسي هو الوقوف العلني من الجمهورية الجزائرية إلى جنب الجمهورية الفرنسية ضد العالم أجمع ، وفك العزلة السياسية عنها مشجعة ومساندة [1] .

وقد قدر قادة الجمهورية الفرنسية ذلك الموقف الجزائري حق قدره في رسائلهـــم* إلى الداي:

" سيدي حسن، داي الجزائر الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية "

" A Sidi Hassan, Dey d'Alger , Ancien Ami et Allié de La Nation Française "

(1)- عبد الرحمان الالجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة ، ج3، (ب.ط)، بيروت ،1980م ، ص 276 .

ب. **المساعدة المالية والاقتصادية :**

1. المساعدة المالية :

تتمثل في قرض من " الداي حسين " سنة 1793 م لحكومة الجمهورية الفرنسية لتشتري به قمحا في الجزائر، و هو ما يسمى اليوم " بقرض الاستيراد إلى فرنســـا أو التصدير من الجزائر" " Crédit Fournisseur " ، أو قرض حكومي " Crédit Gouvernemental " .

كما نجد هم يبعثون برسالة إلى " سيدي حسن " داي الجزائر الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية يشكرونه فيها على الاستعداد الطيب نحو الأمة الفرنسية في عدة مناسبات والتسهيلات التي منحها إياها لاستيراد القمح من الجزائر وعلى القرض الذي قد منحهم ويختم الرسالة :

" إنه لمن خواص القلوب الكريمة مثل قلبك أن تهتم بالقضية – الثورة الفرنسية- التي يساندها العقل و العدل ... " .

وإننا لمعتزون بصداقتك وحرصون على الحفاظ عليها وإعطائك براهين على صداقتنا ونرجو أن تكون هذه الصداقة بيننا أبدية " (أنظر ملحق 03 شكل أ، ب 129) .

ثم رسالة أخرى منهم إلى " سيدي حسن " ، يعلمونه فيها بإرسال مبعوث خاص إليه ويرجون منه حسن استقباله كمبعوث الجمهورية و الاستماع إليه * " [1] .

و ندرج هنا جوابا من الداي حسن على رسالة قادة الجمهورية الفرنسية الخاص بالقرض والقمح والمساعدة العسكرية للجيش الفرنسي" بالجلود والحبوب وغيرها " يعرض عليهم المساعدات إضافية بالمواد الغذائية والخيول الجيدة ، والحبوب ومواد استهلاكية أخرى من جميع أصناف لأننا نحسن أنكم في حربكم العامة ، ضد هذا العدو الكبير من الدول الأوربية من المستحيل ألا تجابهكم صعوبات في التزود بالمواد ذات الضرورة الأولى [2] .

" و إن سفراء الدول التي انتم ضدها في حرب المقيمين لدينا، لا يفتأون تحت قناع الصداقة يلحون علينا في أن نعلن ضدكم حربا... ولكننا جيرانكم و أصدقائكم القدماء الأوفياء " (أنظر ملحق 03 شكل أ، ب ، ج 131).

(*)- ألغت الثورة الفرنسية صبغة السيد Monsieur وعوضتها بالمواطن Citoyen بالنسبة للجميع حتى للملوك و الأباطرة ، انظر المصدر : ألبير سوبول ، مرجع سابق، ص 532 .

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 124 .

(2)- جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790م/1830م ، مرجع سابق، ص 57 .

و يأتي الجواب بسرعة متحمسا من قادة الجمهورية الفرنسية يشكرونه فيه بحرارة على هذا العرض الخاص : " و إن الجمهورية لسوف تتذكر دوما هذه المساعدات التي تلقتها من أصدقائها و حلفائها في هذه الظروف العصيبة ... [1] " (أنظر ملحق 03 شكل أ، ب132) .

تلك الظروف العصيبة تمثلت في الضائقة المالية التي كانت فرنسا تعاني منها و العجز المالي وتحتاجها في أغلب ولاياتها مجاعة ، وقحط جراء الحصار الأوربي ، وقد شهد بذلك المؤرخون من أبرزهم المؤرخ " باردون " الذي قال : " كانت الجزائر أرسلت بكميات معتبرة من الحبوب لفرنسا التي كانت تعاني القحط ".

و كذلك المؤرخ " دي غرامون " أيضا : نقلا عن رواية لتقارير " فالبير" الذي كان القنصل العام الفرنسي في الجزائر ، ومحافظ العلاقات الاقتصادية الفرنسية :

" لقد عملت ، وملئي السخط الشديد أن الانكليز – وكانت انجلترا إحدى الدول الأعضاء في الكتل السبع ضد الثورة الفرنسية – قد تجاسروا إلى حد الطلب من الداي بأن يمنع عنا كل إسعاف ليجعلونا نموت جوعا " .

" Nous Refuser Tout Secours Pour Nous Laisser Périr Par La Famine " [2]

بالإضافة إلى القرض الأول ، قدمت الجزائر إلى فرنسا قرض آخر نقدا بدون فوائد ربوية قدر بخمسة ملايين فرنك ذهبي – فضلا عن القرض الحكومي- ، وقد أشارت الدراسات التاريخية الفرنسية إلى هذه المساعدات :

مثل ما كتبه " إيقورنو" : " بل وقد منح الداي الجمهورية الفرنسية ، أثناء حروب الثورة قروضا بدون فائدة ، في الوقت الذي كان يزودها أيضا بالحبوب مما أنقذها من القحط " .

ومؤرخ فرنسي ثان " هوغارو " الذي يقول : " وقد أرسل الديركتوار " المجلس الأعلى للثورة الفرنسية المتكون من خمسة أعضاء يعينون الحكومة وقواد الجيش " القنصل " هركولى Harcelais " مبعوثا خاصا بمهمـــة الحصول من الداي على قرض خمسة ملايين من الفرنكات " [3] (أنظر ملحق 03 شكل 134 و139).

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، مرجع سابق، ص 127 .

(2) -De Grammont , Ibid. pp 348-349 .

(3)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، مرجع سابق، ص 138 .

كما ذكر شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريـــــا (1908م– 1977م) في إلياذته الشهيرة بفضل الجزائر على فرنسا حينما قال [1] :

وجاعت فرنسا....فكنا كرامـا وكنا الأولى يطمعون الطعامـا

فأبطرهم قمحنا الذهبـــــــي وكم تبطر الصدقات اللئامـــا

وباعت فرنسا ضمير اليهــود فباع ضمير اليهود الدمامـــا

وما كان بوشناق إلا ابــن آوى وما كان بوخريص إلا طعامـا

وحزب شارل المريض فرنسا فثار بها الشعب يغلي انتقامـــا

وضاق الفرنسيين بالعاطليـــن وما ذاق شارل المريض المناما

وأوحى له قمحنا غزونـــــــا فأطلق هذي القموح سهامـــــا

وصب النفايات في أرضنـــا وخان المسيح، وأغرى السواما

ومروحة الداي لم تـــك إلا كما يستبيح اللصوص الحرامـــا

أبوتان*..هل سيدي فـــــرج وإن طال ليل...أقر النظامـــا ؟؟

شغلنـــا الورى ، وملأنا الدنـــا

بشعـــــر نرتـــله كالصـــــلاة

تسابيحـــه من حنايا الجزائـــر

(1)- الإلياذة بكاملها في الجزء الأول من كتاب الملتقى السادس للفكر الإسلامي، نشر وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، طبع مطبعة البعث، 1972م، قسنطينـــة .

(*)- **بوتان** : الجاسوس الفرنسي الذي رسم خطة الهجوم من ثغر سيدي فرج بأمر من نابليون بونابرت في جويلية 1808م ، وقد انتفع الجيش الفرنسي بتلك الرسوم عند حملته على الجزائر سنة 1830م .

2. **المساعدة الإقتصادية** :

تم كسر الحصار المضروب على فرنسا من قبل أوربا عبر المساعدات المادية التي كانت تنقل عبر الموانئ الجزائرية إلى فرنسا ومن أمثلة ذلك شحن مائة سفينة من ميناء وهران سنة 1793 م بخمسة وسبعين ألف قنطار من القمح وستة آلاف قنطار من الشعير، إضافة إلى مساعدات غذائية متنوعة كالصوف و الجلود و الزيوت واللحوم و خيول للجيش الفرنسي .

بالإضافة إلى كل ذلك أصدر أوامر بفتح أبواب أسواق الشرق و الغرب " القالة والغزوات " أمام السفن الفرنسية من تقديم الهدايا للداي مثل ما هو معترف به دبلوماسيا وذلك تخفيفا على فرنسا ، وفي ذلك يقول المؤرخ الفرنسي بلانطي : " ... وكانت ظروفنا تلزمنا بأن نعامل الجزائريين بالحسن ، ليس فقط لضمان حمايتهم ملاحتنا في البحر المتوسط ، بل أيضا لتزويدهم إيانا بالحبوب والجلود الضرورية لجيشنا... وها هو سيدي حسن " الداي حسن" يتجاوز هذا ويعطينا أكثر :

فيقدم لنا تسبيقا أوليا قدره خمسون ومائتا ألف فرنك ، بدون فائدة لتسديد مشترياتنا من الحبوب في عنابة و قسنطينة ، ويعطى قنصلنا جوازات سفر لسفننا*، و يسمح لبحارتنا بالتزود في جميع مراسيه ...

بل و يرفض الهدايا التي قدمها له قنصلنا و يعطينا زيادة على ذلك قرضا بمليون لمدة عامين وبدون فائدة ... " [1](أنظر ملحق 03 شكل 135) .

في بداية أوت تلقى القنصل " فالبير" تعليمات من لجنة الخلاص العام تدعه للقيام بمساعي لدى السلطات الجزائرية لإقناعها بعدم التعرض لأية سفينة محملة بالحبوب تتجه نحو فرنسا مهما كان جنسيتها، لقد اعتبر الداي هذا الطلب مستحيل التحقيق وغير قابل للتنفيذ لأنه يعني أن الجزائر تنهي حالة الحرب مع كل أعدائها دون أن تكون لها أية ضمانات تحمى بها سفنها وتجارتها من هؤلاء ، فاستبد له بطلب ثلاثين جواز سفر جزائري لتستعملها السفن الفرنسية ، لقد استقبل الداي للطلب باستغراب ودهشة ، وبعد أن فكر قليلا رد قائلا إن هذا كثير جدا لا أقدر عليه فإذا قبلته فإن بحريتي سوف تثور ضدي ثم إن انجلترا وإسبانيا سوف لن تتوانيان قي تقديم طلب مماثل إنني أستطيع أن أزودك بالحبوب ، ولكن أيها القنصل لا أستطيع تلبة ما تطلبه مني فهو يشكل خطرا كبيرا علي [2].

(*)- سلمت جوازات سفر و إشارات بحرية جزائرية للسفن الفرنسية كتمويه بحري حتى لا تتعرض للاستلاء عليها من قبل السفن الأوربية .

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 140 .

(2)- جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790م/1830م ، مرجع سابق، ص 50 .

كما يقول دي غرامون : " ... وفرنسا التي أرادت إذ ذاك أوربا كلها تقريبا تقف ضدها كان عليها أن تراعي الجزائر التي كان يتوقف عليها تزويدنا بالحبوب ، ذلك التزود الذي أصبحت ضرورته تزداد كل يوم شدة وحدة ... ، وقد تحمل فالبير بعض المعاملات القاسية في سبيل مصلحة بلاده للحصول على رخصة تصدير كميات هائلة من الحبوب واللحوم المملحة " القديد " والجلود ومواد أخرى مخصصة لتموين جنوب فرنسا و الجيش ... " [1] .

و يضيف دي غرامون : " ... وفعلا لم يكتف " الداي حسن " بإصدار أوامره أبواب أسواق الشرق و الغرب على مصراعيه أمام السفن مرسيليا ، بل منح مدينة " جنوة ايطاليا " أنها السلم بطلب من قنصلنا الذي كان يستخدم هذا الميناء الايطالي لتصدير القمح الجزائري إلى فرنسا..." [2] (أنظر ملحق 03 شكل 137) .

يضيف المؤرخ " غارو" الذي يحسم بأروع صورة و أبلغ رمز مساعدة الجمهورية الجزائرية للجمهورية الفرنسية إذ يقول : " وأمام هذا الاستعداد الطيب من داي الجزائر ولتسهيل مهمة نقل المواد الغذائية المشتراة من الجزائر والمراسلات والمواصلات اتخذ مجلس الثورة الجمهورية الفرنسية قرارا يقضي بإقامة خط بحري منتظم – أي جسر بحري – بين فرنسا و الجزائر ، وقد كلفت شركة إفريقيا * ، بإقامة هذا الخط 28 أوت 1794 م " (أنظر ملحق 03 شكل 139).

و قد تلاحقت بعد ذلك رسائل المجلس التنفيذي الأعلى " الديركتوار" للجمهورية الفرنسية إلى داي الجزائر وأحيانا لا يتركون له حتى وقت الإجابة على رسالة حتى تأتي منهم رسالة أخرى بمناسبة أو بدون مناسبة ، والغرض من ذلك هو إبقاء العلاقات الخصبة لفرنسا وهي محاصرة بالتكتلات الأوربية السبعة " التي كانت الدولة العثمانية طرفا في بعضها " [3] .

---

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 121 .

(2) -De Grammont , Ibid. p 351 .

(*)- **شركة إفريقيا**: تعتبر الشركة الإفريقية من الشركات الكبرى التي حققت أرباحا طائلة خلال عملها بالجزائر والشمال الإفريقي كان مجموع مراكبها البحرية 120 مركبا ، وميزانيتها السنوية 300 ألف جنيه ، تتاجر بالمواد الغذائية و البضائع في ساحل لامازول Lamazoule يصطاد عملاها المرجان في سواحل القالة و عنابة وتبيعه إلى صناع مرسيليا لتكييفه ثم تصديره إلى إفريقيا و باقي دول العالم ، في عام 1794 م ألغيت الشركة الإفريقية بقرار من مجلس الأمن العام ، وعوضت في العام الموالي بالوكالة الإفريقية Agence d'Afrique ، انظر المصدر : يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500-1830م ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع (ط.خ)، 2009 م ، الجزائر، ص 107 .

(3)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م ، مرجع سابق، ص 148 .

بل وقد تدخل الداي حسن حتى في بعض المجالات العسكرية لصالحهم :" ففي مارس 1795 م أسرت سفن إسبانية سفينة فرنسية في عرض البحر ، فأصدر الداي على الفور أمرا بإرسال اثنتي عشرة سفينة بحرية من نوع المدفعية لملاحقة السفن الإسبانية ، وتمكنت فعلا هذه العملية من استرجاع السفينة الفرنسية و إطلاق سراح ربانها بعد أن كان الأسبان أخر جوهم منها ، وجعلوا منهم أسرى " [1] .

و هكذا بعث الديركتوار في ديسمبر 1794 م إلى " سيدي حسن " ، برسالة يعلمه فيها بإنهاء مهام سفيرها في بالجزائر " فالبير" و تعيين خلفا له ، كما تطرق إلى أمر توقيف " الداي حسن " تصدير القمح إلى فرنسا ، لنزاع طارئ يقول فيها :

" لقد آلمنا أن نسمع أنكم أوقفتم تصدير القمح الذي كان يساعد على تموينا ، وإن صداقتنا القديمة التي تربطنا بكم لمن العزة علينا بحيث لا نسمح لأنفسنا بالثواني في البحث عن السبب الذي غيرها... وقد وجدناه في ممثلنا " فالبير" الذي خدعنا وخان ثقتنا وثقتكم ، و لذا قررنا استدعاءه وتعويضه بآخر" و يطلب المجلس التنفيذي في رسالة من الداي بإلحاح استئناف ترخيـــص تصديـــر القمح لصالح فرنســـا (أنظر ملحـــق 03 شكـــل أ، ب 141) .

ثم تتبعها رسالة أخرى يقول فيها : " إننا تأثرنا أشد التأثر بعروضكم المالية التي حملتموها إياه – القنصل الجديد " هركولى Harcelais " – و التي استوجبت عرفاننا بالجميل ونعتبرها دليلا جديدا على عطفكم على الجمهورية الفرنسية .... " (أنظر ملحق 03 شكل أ، ب 142) .

ابتداء من ربيع سنة 1798 م تلاحقت أحداث كانت لها تأثيرات على العلاقات الجزائرية الفرنسية من أهمها وفاة " الداي حسن " 14 ماي 1798 م وتولية " مصطفى باشا " مكانه الذي طلب الديركتوار بتسديد بعض المستحقات القديمة [2] .

كما قام " نابليون بونابرت*" في هذه السنة بفتح جزيرة مالطا و أطلق ما كان بها من الأسرى الجزائريين ترضية لأهل الجزائر، وطلب من " الداي مصطفى " بالمقابل إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين و المالطيين في الجزائر.

---

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، مرجع سابق ، ص 150 .

(2)- مولود قاسم نايت بلقاسم ، مرجع نفسه ، ص 158 .

(*)- **نابليون بونابرت** : ولد سنة 1769م بجزيرة كورسيكا وهو من أصل إيطالي ، دخل شبابه في المدرسة العسكرية الفرنسية والجيش الفرنسي ، ولما بلغ سن السابعة والعشرين أوكل إليه قيادة الجيش بالنظر لما أظهره من مهارة فائقة في شؤون الحرب وخاض حروب متعددة في أوربا و خارجها ، انظر المصدر : الحويك إلياس طنوس ، تاريخ نابليون الأول ، دار العلم للملايين (د.ط)، 1970 م ، بيروت ، ص 17 ، وكذا أنظر : ألبير سوبول ، مرجع سابق، ص 478 ، و ما بعدها .

و قامت الجزائر بإعادة علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا كما كانت من قبل ، ولم تمض ثلاث سنوات حتى أصابت الخزينة الفرنسية خلل فالتجأت الحكومة الفرنسية مرة أخرى لتسد ما أصاب ماليتها من العوز ، فقدمت لها الجزائر مليون فرنك بجون فائدة لمدة سنتين [1] .

و لما كانت المبلغ الذي حصلت عليه فرنسا من الجزائر لم يكن كافيا لسد حاجياتها عمدت إلى استكمال المبلغ بواسطة شركة " بوشناق " و" بوخريص " اليهودية بالجزائر وتقاضتها مع ذلك في الحبوب أيضا *، فارتفع الدين على فرنسا إلى مليونين فرنكا ، ثم بعد ذلك عادت إلى الاستزادة من الجزائر فمنحتها هذه الأخيرة نصف مليون آخر وأضافت إلى ذلك مقدار من الحبوب

فارتفع مبلغ الدين إلى سبعة ملايين** في حين أن حكومات أوربا الصديقة لفرنسا والمجاورة لها أعرضت عن مساعدتها المالية وعن تموينها خاصة دولة بريطانيا العظمى ن فإنها لم تكتف بالإعراض عن جارتها بل حاولت أن تحبط مساعيها وأن تحرمها بأسلوبها الدبلوماسي المعهود حتى من المساعدة الجزائرية [2] .

(1) - عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق، ص 278 .

(*)- هاجر بعض اليهود الماليين – لاسيما بكري و بوخريص من ليفورن بايطاليا سنة 1770م إلى العاصمة الجزائر ، وعملوا بها كوسطاء في التجارة ، وكان الدايات يبيعون لهم القمح بثمن بخس نظير اقتراضهم الأموال منهم ، ثم يبيع هؤلاء الوسطاء القمح لفرنسا بأثمان باهظة لحاجتها إلى التموين واضطرارها للدفع على الآجال ، انظر المصدر : صلاح العقاد ، المغرب العربي ، (د.ط) ، 1968 م ، القاهرة ، ص 86 .

(**)- تذكر المصادر أن الديون إنما بدأت تترتب على فرنسا منذ سنة 1793 م لغاية 1798 م بلغت خمسة عشرة مليونا من الفرنكات ، انظر المصدر : ألبير دوفال ، مرجع سابق، ص 19 .

(2)- عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق، ص 290 .

الخاتمة

إن الحديث عن البحرية الجزائرية في العصر الحديث ، موضوع يدفع إلى الاعتزاز و الشعور بالفخر ، فهو صورة لملحمة واقعية جرت فصولها عبر ثلاثة قرون كاملة ، مليئة بالتضحية والبذل و البطولة .

لقد كانت الجزائر حريتها القلعة الأمامية للعالم العربي الإسلامي و الذي ذادت عنه بكل استبسال و شجاعة ضد الخطر الصليبي و شجاعة ضد الخطر لصليبي الآتي من الشمال ، وأدت مهمتها تاريخيا على أكمل وجه و في أروع الصور للتضحية و الغداء ليس من أجل الجزائر وحدها و غنما كذلك من اجل الإسلام وضد التسلط و السيطرة الغربية .

لم يبق نشاط البحرية الجزائرية حبيس الحدود الإقليمية للجزائر ، ولم تقف عند حدود مصالحا الشخصية و غنما تعدتها إلى المساندة و الوقوف إلى جانب الشعوب المظلومة في تحريك إنساني شهدت عليه محطات تاريخية متعددة ، لعل من أبرزها أدور أو التحرك الإنساني في إنقاذ فرنسا إثر الحصار المفروض عليها من قبل أوربا ، وجاء هذا التحرك إثر استنجاد فرنسا ببحرية الجزائر، والملفت في التحرك الإنساني الجزائري أنه لم يكن قرين مصلحة مادية أو شروط مسبقة مثلما تتعامل به القوى الكبرى في العالم اليوم ، والتي لا تطعم جائعا حتى يدفع ثمن ما أطعم به حتى و لو يسلب الشخصية ، وان إثبات هذه الحقيقة تؤكده طبيعة وصورة ونتائج التحرك باعتبار أن الموقف الجزائري اتجاه القضية الفرنسية و غيرها من القضايا التي تحركت تجاهها ، لم بكن من منطلق الحقيقة المشتركة التي تجمعهم مع الشعوب المتحرك نحوهم بدليل أن عملية الإنقاذ والمساعدة للأندلسيين قد شملت المسلمين و اليهود بالتوازي .

إضافة إلى أن الاختلاف الجزري بين الشعبين الجزائري والفرنسي لم يتمتع في لحظة الحصار والجوع والمسبغة التي عاشتها فرنسا عقب ثورتها الشهيرة من تحرك الجزائر إنسانيا لإنقاذ هذا الشعب بدون أي استغلال لهذه الظروف للاستفادة من مصالح شخصية ، وأن الغرض من هذا التحرك لحضه " الداي حسن باشا " في رسالة الموجهة للحكومة الفرنسية بقوله :

" فالصديق الحقيق هو الذي يعلن عن نفسه عند الحاجة ، فهذه هي مبادئنا "

مما يبين أن حقيقة التحرك الإنساني للبحرية الجزائرية أمثلة المبادئ و القيم التي تكونت عليها هذه البحرية منذ نشأتها سواء العامة أثناء الفتح الإسلامي ، أو الخاصة تحت شعار الإنقاذ على يد الأخوة بربروسا ، والملفت للانتباه أن الجزائر دفعت ثمنا غاليا نظير وقوفها الإنساني خاصة مع فرنسا أثناء الحصار وما ترتيب عنه من ديون ، وكان من الأسباب البارزة التي أدخلت الجزائر عصرا مظلما من الاحتلال الذي أفقدها كل عوامل القوة ، ولم تستفق منه الجزائر إلا وهي في صنف عالم متخلف بع ما كنت سيدة في البحر المتوسط .

يعاني تاريخ البحرية من آثار ..... التضليل والتحريف التي شنتها عليه الأدبيات التاريخية الغربية ، وفي مقدمتها الكتابات الفرنسية التي ترفض بتصلب وعناد الاعتراف بالوجود السياسي للجزائر قبل 1830 م ، بالرغم من هذا الموقف الذي هو موقف سياسي وليس واقعا تاريخيا ، فهي لم تستطيع أن تنكر للبحرية بعضا من هويتها الجزائرية ، لتعذر طمس حقيقة فرضت نفسها على الساحة المتوسطية كعنصر من العناصر المكونة لميزان القوى الرئيسية بها لمدة طويلة .

الملاحق

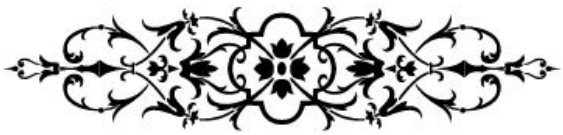

ملحق I

معركة بريفيزا باليونان 1538م.

نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص 67

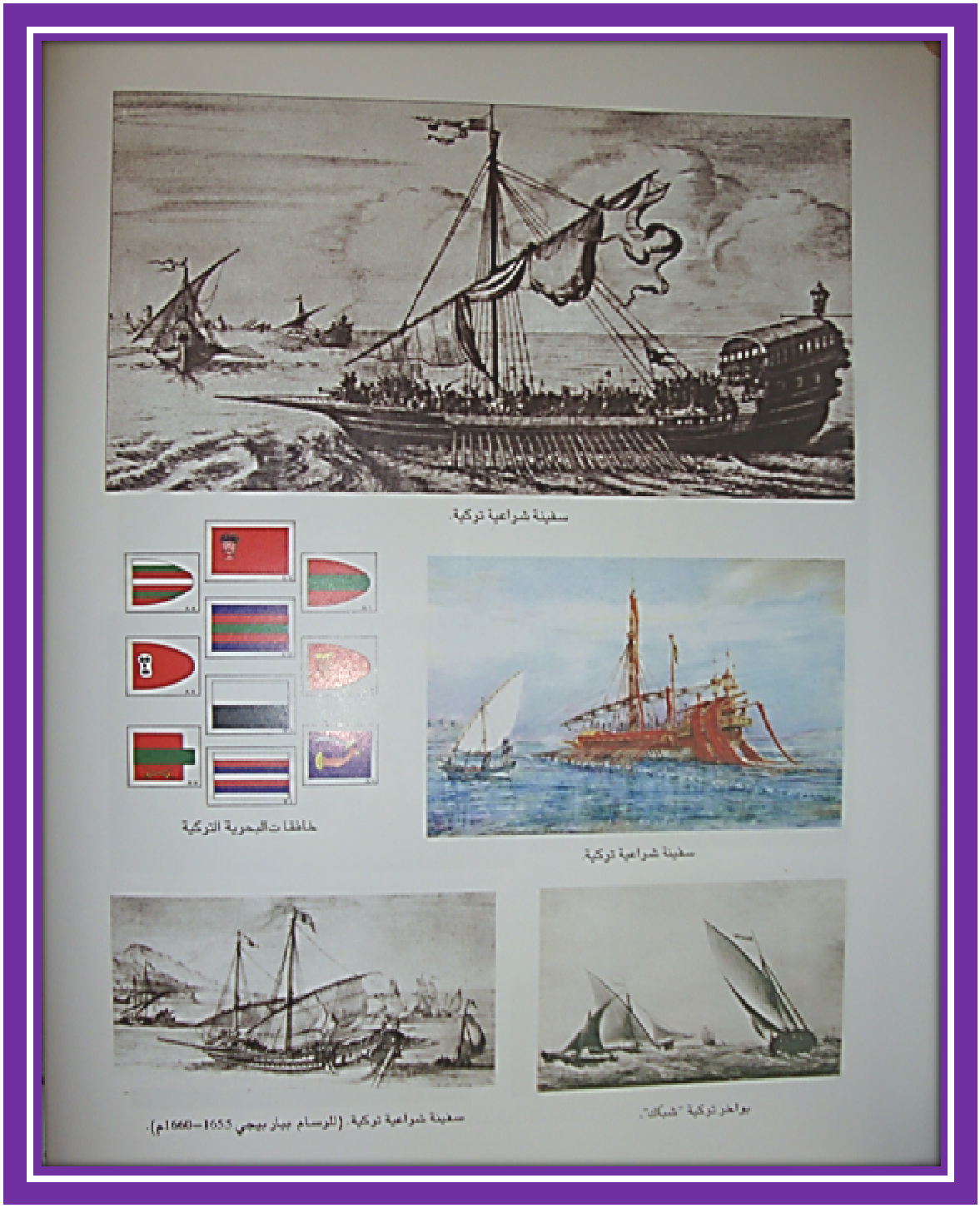

سفينة شراعية تركية

خافقات البحرية التركية

سفينة شراعية تركية

سفينة شراعية تركية. (للرسام بيار بيجي 1655-1660م).

بواخر تركية "شباك".

نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص 78

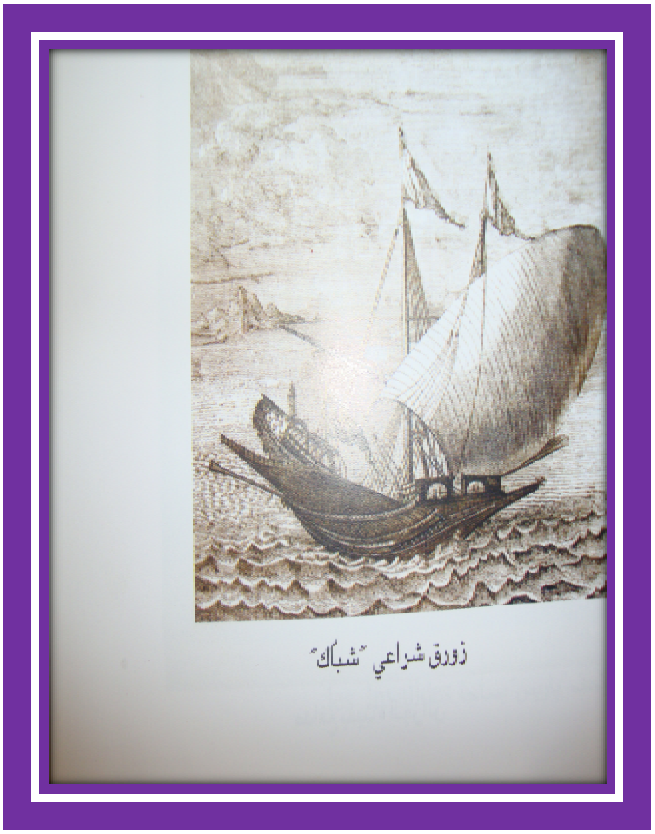

نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص 80

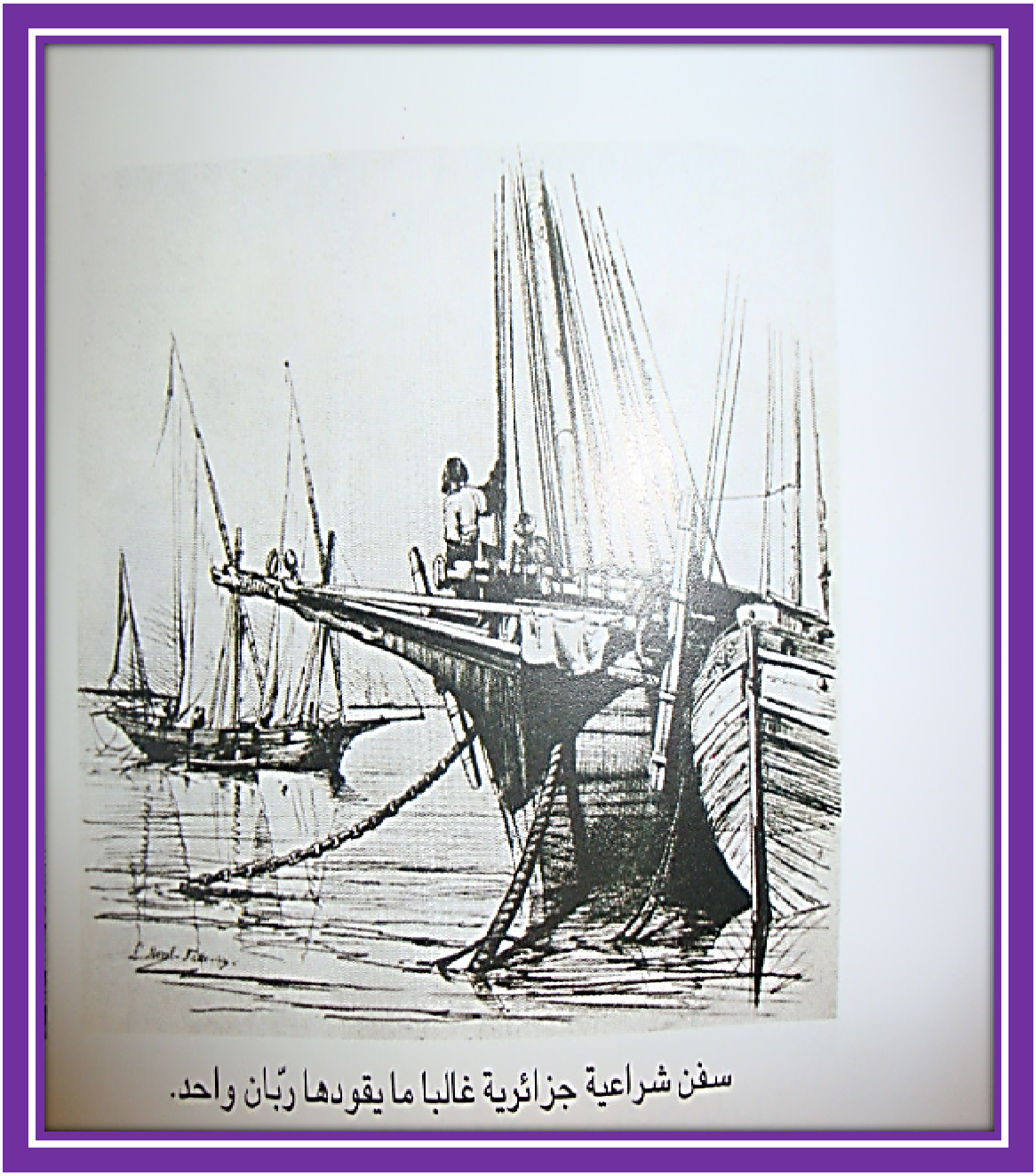

سفن شراعية جزائرية غالبا ما يقودها ربّان واحد.

نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص 83

ملحق II

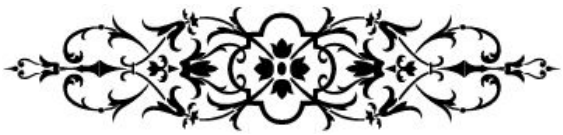

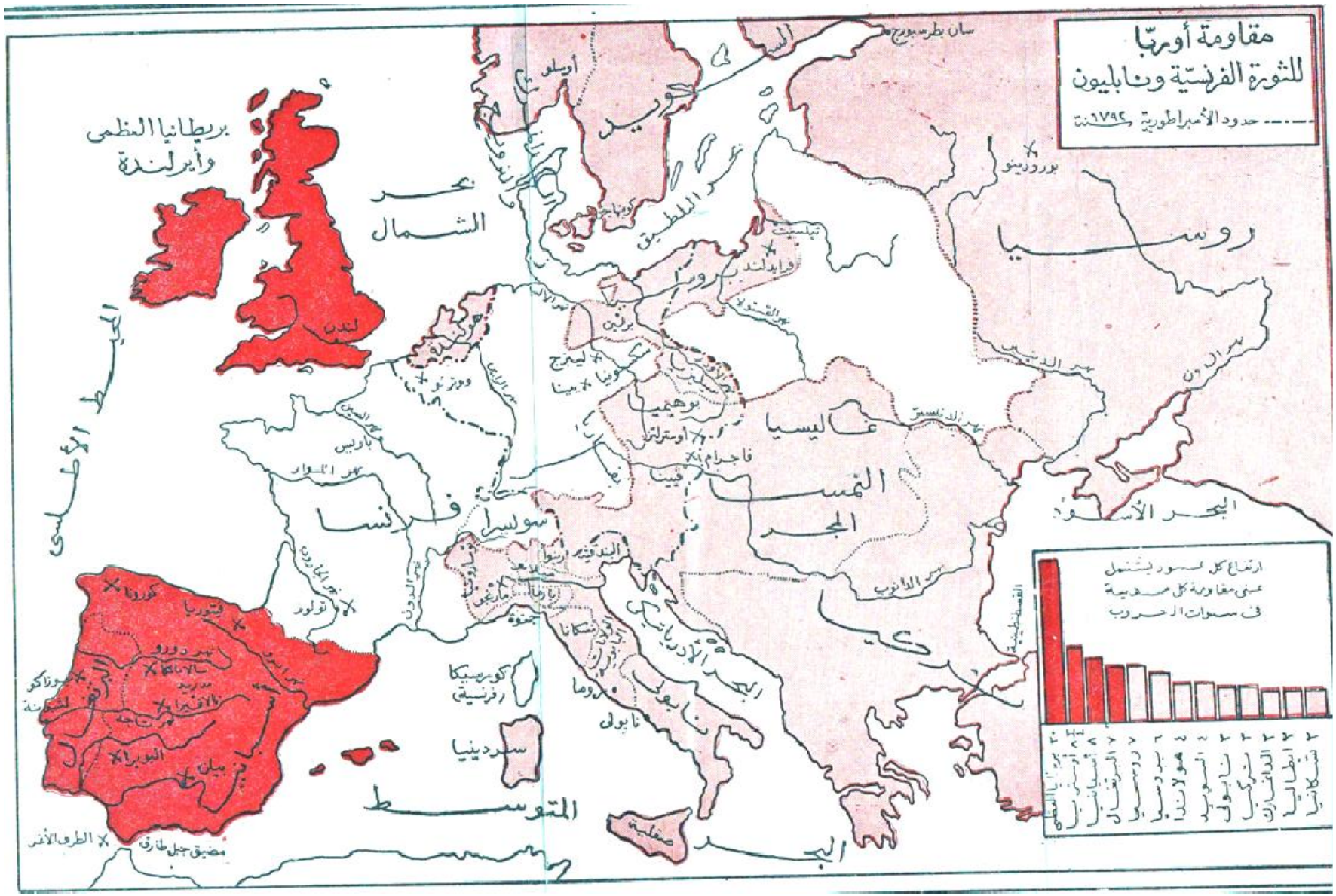

المصدر : جرانت.أ. و تمبدلي هارولد، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789 – 1950)، مؤسسة سجل العرب، ترجمة : بهاء فهمي، (د،ط)، الجزء الأول، (د،ت)، القاهرة .، ص 88 .

ملحق III

LOUIS XIV A HADJI CHABAN, DEY D'ALGER.

Versailles, le 30 octobre 1689.

Très illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons vu, par la lettre que vous nous avez écrite, la disposition dans laquelle vous êtes de maintenir la paix qui a été conclue par le Commissaire Marcel avec le Pacha et Divan d'Alger, et comme le traité qu'il nous a présenté est conforme à nos intentions, nous ratifions, par cette lettre, les articles dont il est convenu, et nous donnons ordre aux Commandants de nos vaisseaux et au sieur de Vauvré, Intendant de la Marine au port de Toulon, de les exécuter dès à présent. Nous espérons que, de votre part, vous tiendrez la main à ce que les conditions d'un traité si solennel ne soient violées par aucune contravention, et que, s'il s'en commet quelques-unes dans la suite, vous aurez soin qu'elles soient aussitôt réparées, afin que rien ne puisse altérer la bonne intelligence dans laquelle nous voulons vivre avec vous.

Nous avons estimé nécessaire de renvoyer le dit Commissaire Marcel à Alger [1], tant pour vous porter cette lettre et consommer avec vous tout ce qui peut regarder l'exécution du traité de paix, que pour vous faire comprendre l'importance des secours que les vaisseaux d'Alger trouveront dans les ports de notre Royaume, et principalement dans celui de Brest, si vous prenez la résolution de les faire passer dans l'Océan [2]. Nous donnerons des ordres si précis pour l'avantage des dits vaisseaux, du détail desquels le dit Marcel vous informera, qu'ils seront traités comme nos propres vaisseaux de guerre. Par ce moyen, vous pourrez vous assurer que les grands profits que tireront tous ceux qui armeront en course dans la dite Ville d'Alger, étant donné les prises considérables qu'ils pourront faire sur les Anglais et les Hollandais, vous donneront un nouveau crédit. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, très illustre et magnifique Seigneur, en sa garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 30 octobre 1689.

Louis.

1. *Mémoire pour servir d'Instruction au sieur Marcel sur la suite qu'il doit donner à la négociation qu'il a à faire pour le rachat des esclaves français à Alger*, 16 novembre 1689. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*) — Mercadier avait compté, à la fin de l'année 1689, 1033 esclaves chrétiens à Alger. *Lettre de Mercadier à MM. les Députés de Marseille*, le 16 novembre 1689. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 469 de l'Inventaire.)

2. M. de Vauvré avait donné le conseil de « permettre aux corsaires d'Alger de se ravitailler dans nos ports pour courir sus aux Anglais, les ennemis communs de la France et de la Régence ». *Lettre de M. de Vauvré au marquis de Seignelay*, le 23 juin 1689. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

الشكل رقم : (104)

LOUIS XIV

A HADJI AHMED, DEY D'ALGER

Fontainebleau, le 28 septembre 1695.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris, par la lettre que vous nous avez écrite[1] votre élévation à la dignité de Dey et au Gouvernement de la République d'Alger, dans lequel nous vous souhaitons toutes sortes de prospérités, la ratification du traité de paix ci-devant conclu avec le Divan[2], et la résolution dans laquelle vous êtes de réparer les contraventions qui y ont été faites par les reïs d'Alger. Vous pouvez compter qu'il sera exactement exécuté de notre part, et que, s'il s'en commettait quelques-unes par les officiers de nos vaisseaux, nous les en punirions sévèrement lorsque vous nous en feriez des plaintes. Nous avons, au surplus, fait expliquer plus particulièrement nos intentions au Bachi envoyé par le Divan[4], sur les moyens d'entretenir la bonne correspondance établie entre nos sujets et les Algériens, et nous chargeons le sieur de Pontchartrain de vous informer des ordres que nous avons donnés, sur les plaintes qui nous ont été faites de la part du Divan. Et la présente n'étant à autre fin, nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa garde.

Écrit en notre château impérial de Fontainebleau, le 28 septembre 1695.

LOUIS.

1. *Archives de la Marine.* (*Levant et Barbarie*, B[7] 214.)
2. Voy. la Lettre du 18 août 1695, p. 490.
3. Le 4 septembre 1689.
4. Soliman. Voy. les notes 2, p. 464 et 496.

الشكل رقم : (106)

LOUIS XIV
A MUSTAPHA, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 8 septembre 1700.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris par votre dépêche du 11 du mois passé [2], qui nous a été présentée, le choix que le Divan et la Milice d'Alger ont fait de votre personne pour les gouverner, et par le Consul que vous avez renouvelé le traité de paix [3]. Vous devez vous assurer, sur notre parole inviolable, qu'il sera de notre part ponctuellement rempli, ainsi qu'il l'a été jusqu'à présent, et

1. *Archives coloniales de la Marine.* (*Compagnies du Bastion de France*, 1639-1731.)
2. Voy. p. 6.
3. Voy. la note 1, p. 5.

nous en renouvelons si précisément l'ordre aux Capitaines et Commandants de nos vaisseaux et à tous nos sujets qu'il n'y a point à craindre qu'il y survienne par eux aucune contravention.

Nous attendons de vous la même exactitude, et qu'en répondant à la bonne intelligence qu'ils ont avec les Algériens, nous n'aurons que des occasions de vous marquer une considération particulière pour votre personne, et l'estime qu'elle doit attendre de l'opinion qu'on nous en a donnée.

Écrit en notre château impérial, le 8 septembre 1700.

Louis.

الشكل رقم : (108)

LOUIS XIV

A HUSSEIN, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 13 janvier 1706.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu avec joie la lettre qui nous a été présentée de votre part [2], pour nous apprendre que vous avez été nommé par la Milice d'Alger pour gouverner la République. Nous étions déjà assez informé de votre mérite particulier pour juger qu'elle ne pouvait faire un meilleur choix. Vous devez attendre de nous, en toute occasion, des marques d'une considération singulière pour votre personne, et tous les égards qui pourront vous faire connaître la sincérité de nos intentions. Nous avons jusqu'à présent fait exécuter avec la plus exacte ponctualité les traités de paix faits entre nos sujets et ceux de la République d'Alger. Nous vous assurons de continuer d'en user de même à l'avenir, et nous renouvelons nos ordres à nos officiers et Commandants de nos vaisseaux, pour les obliger à en observer tout le contenu avec plus d'exactitude encore, s'il est possible. Nous donnons ordre au Comte de Pontchartrain de vous informer de ce qui regarde la prise du Capitaine Jacomo [3].

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 13 janvier 1706.

LOUIS.

1. *Archives coloniales de la Marine.* (*Compagnies du Barbarie de France*, 1639-1731.)
2. Voy. p. 37.
3. Voy. la note 1, p. 40.

الشكل رقم : (111)

LOUIS XIV

A ALI, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 1er avril 1711.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons vu avec plaisir, par la lettre que vous nous avez écrite le 10 du mois de janvier [2], les sentiments que vous marquez pour maintenir la paix et la bonne correspondance entre nos sujets et ceux de la République d'Alger. Vous devez être persuadé que, de notre part, nous ne souhaitons rien de plus que la continuation de cette disposition, et que nous profiterons des occasions que nous pourrons avoir de vous marquer notre bonne volonté pour la rendre solide et durable. Celle qui vous a obligé d'envoyer à Marseille le reïs Bekir a été remplie avec toute la promptitude que vous avez pu désirer. Les circonstances extraordinaires dans lesquelles on s'est trouvé, dans ce port et dans celui de Toulon, par les contretemps des saisons, nous ont empêché de rouvrir nos magasins de la mâture, qui ont toujours été garnis jusqu'ici de provisions, mais nous avons donné des

1. *Archives coloniales de la Marine.* (*Compagnies du Bastion de France*, 1639-1731.)

2. Voy. p. 84.

الشكل رقم : (112)

ordres très pressants à nos Intendants pour vous fournir ce dont vous avez besoin [1], et nous avons été informé qu'on avait mis votre Envoyé en état de remplir entièrement sa commission et de s'en retourner satisfait. Nous espérons que, par ces bons offices, vous serez mieux engagé à continuer de donner aux Commandants de nos vaisseaux et à ceux de nos sujets qui pourront relâcher ou commercer dans les ports de la République d'Alger tous les secours nécessaires. Et pour vous donner des marques de la considération que nous avons pour votre personne, nous avons ordonné de faire mettre en liberté 20 des Algériens ou Turcs qui sont sur les galères, et que nous chargeons notre Consul de vous présenter [2], avec un diamant que nous lui adressons pour vous, et que nous espérons que vous voudrez bien recevoir comme un témoignage de notre bienveillance. Nous vous souhaitons au surplus un Gouvernement tranquille et plein de prospérités.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 1er avril 1711.

Louis.

1. Voy. *Lettre du comte de Pontchartrain aux Députés de Marseille*, le 1 mars 711, leur donnant avis qu'il a autorisé le Dey à faire acheter des mâts à Mar- ille, mais qu'il a été bien entendu que ce dernier en fournirait le prix, et que tte permission n'était qu'une faveur exceptionnelle. (*Archives de la Chambre commerce de Marseille*, S. AA, 16 de l'Inventaire.)

2. De Clairambault les avait demandés depuis longtemps déjà sans que la our s'en occupât, et plusieurs fois il n'avait pas caché que le peu de succès e ses réclamations rendait ses relations officielles de plus en plus difficiles. Il est impossible, avait-il écrit dans un moment de découragement, que les faires ne périclitent pas entre mes mains, le Dey étant persuadé que mon scrédit auprès de Votre Grandeur est le seul obstacle à la liberté des quel- les esclaves qu'il demande. Si vous estimez que leur liberté soit une chose op importante pour en accorder aucun, le seul moyen de prévenir de nouveaux barras est de nommer un autre Consul. » *Lettres de de Clairambault au comte Pontchartrain*, les 1er et 12 juin 1708, 28 juin et 24 septembre 1709.

تابع للشكل رقم : (112)

LOUIS XVI

A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 12 mai 1774.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu vient d'appeler à lui notre très honoré Seigneur et aïeul Louis XV, Empereur de France, de glorieuse mémoire. Il nous

1. Ce nouveau Consul arriva à Alger le 1er décembre 1773 sur la frégate *La Sultane*, commandée par M. de Taulanne, et y reçut « l'accueil le plus affectueux et le plus distingué que l'on pût désirer ». Voy. *Lettre de Vallière à M. de Boynes*, le 8 décembre 1773. — Voy. aussi *Note des présents à distribuer par M. Langoisseur de la Vallée, lors de son arrivée à Alger*. L'état ne désigne pas moins de 92 personnes, et le total s'élève à 16 591 l. 7 s. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

الشكل رقم : (117)

BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER,
A LOUIS XVI.

Alger, le 4 avril 1790.

(Sceau)
MOHAMMED,
Dey et Gouverneur d'Alger.

A Sa Majesté Louis, l'élite des Monarques chrétiens, le plus lorieux des Grands parmi les nations de la croyance du essie, le très auguste, très sincère, très affectionné Empereur France, notre grand et ancien ami. — Puisse son existenco e comblée de bénédictions! Daigne le Ciel le diriger sans sse dans le chemin de la droiture! —

Après avoir offert à Votre Majesté les vœux les plus ardents les expressions de l'amitié la plus pure, notre premier

Joseph-Charles Astoin-Sielve, qui fut nommé Chancelier du Consulat d'Alger mars 1790. Voy. sa correspondance avec les Échevins de Marseille. (*Archives Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 492-506 de l'Inventaire.)

الشكل رقم : (123)

devoir est de nous informer de l'état de votre santé. Si nos prières sont exaucées, il n'est sorte de prospérités et de bonheur dont vous ne jouissiez pendant un règne aussi long que glorieux.

Nous étions occupé de ces souhaits et de nos sentiments les plus sincères pour Votre Majesté, lorsque son Envoyé, M. le chevalier de Sainneville, nous a remis le 26 février la lettre pleine d'amitié dont elle nous a honoré [1]; nous en primes lecture avec le plus grand empressement, et nous appréciâmes avec reconnaissance toutes les expressions contenues dans cette dépêche et qui portaient le caractère de l'éloquence du cœur. Nous fîmes en conséquence appeler auprès de nous l'Envoyé de Votre Majesté et son Chargé d'affaires résidant à Alger, et nous leur montrâmes les plus favorables dispositions à les entendre sur les points principaux de leurs instructions [1].

Il en est résulté un écrit par lequel nous nous sommes engagé à confirmer la paix qui subsiste entre les deux Empires depuis un temps infini, et à l'observer dans sa plénitude à la satisfaction des deux partis, et c'est à la suite de notre ancien traité que cet écrit a été consigné [2].

Il nous reste à désirer que la Vérité éternelle daigne raffermir et fortifier les nœuds de l'amitié qui nous unissent à Votre

1. Voy. p. 389. M. de Sainneville arriva à Alger le 26 mars 1790 sur la frégate du Roi *L'Iris*, commandée par le chevalier de Ligondez, et repartit le 4 avril. Voy. *Etat de la dépense faite d'ordre de M. de Kercy à l'occasion de la venue en cette rade de la frégate du Roi L'Iris, commandée par le chevalier de Ligondez*, le 31 mars 1790.

2. Voy. *Lettre du chevalier de Sainneville au comte de La Luzerne*, le 10 avril 1790, rendant compte de sa mission. « Le Dey a montré beaucoup d'humeur dans la première audience, et m'a paru aussi exigeant qu'il pouvait l'être. Il a seulement consenti à ajouter au traité une clause établissant le renouvellement de la paix centenaire, et une nouvelle démarcation de limites, pour la course de ses corsaires, à la portée du canon des côtes de France et de Corse. Mohammed a consenti à laisser les Concessions à la Compagnie moyennant 2 000 sequins de plus tous les deux mois. » — Voy. aussi *Compte particulier de M. de Sainneville en 1790*, — *Fonds accordés en 1790 pour la négociation avec Alger*, et *Rapport sur les dépenses de l'affaire d'Alger*, le 4 septembre 1790, soit 330 000 l., — *Récapitulation des présents de l'Envoyé du Roi*, le 5 juin 1789, — *Lettres du comte de La Luzerne à de Kercy*, les 31 janvier et 28 avril 1790, *et de de Kercy au comte de La Luzerne*, les 6, 23 avril et 7 août 1790. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

3. L'original du traité du 29 mars 1790 est aux *Archives des Affaires étrangères, Salle des Traités*. Il a été publié dans les recueils de MM. Tétot et de Clercq.

الشكل رقم : (123) ب

Majesté, et que la divine Providence ne nous permette jamais de nous écarter de la bonne voie. Ainsi soit-il!

A Alger, séjour de la guerre contre les infidèles, le 19 de la lune de Redjeb, l'an de l'hégire 1204, c'est-à-dire le 4 avril 1790.

Traduit par RUFFIN, Secrétaire-interprète du Roi, le 28 mai 1790.

الشكل رقم : (123) ج

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

A LOUIS XVI.

Alger, le 15 juillet 1791.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger la bien gardée.

Au plus grand des Souverains chrétiens, à l'élite des Chefs des nations qui professent la religion du Messie, notre très

1. Voy. *Lettre des Députés de la Chambre de commerce de Marseille à Vallière*, le 19 mai 1791. La Chambre était autorisée à faire à notre agent l'avance de 6 655 sequins. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

الشكل رقم : (124) أ

grand et très fidèle ami, l'auguste Empereur de France. — Que Dieu couronne de bénédictions sa glorieuse carrière, et dirige ses pas dans le chemin de la justice et de la droiture! — Salut et prières!

Nous offrons à Votre Majesté Impériale nos vœux les plus ardents et les plus étendus pour sa conservation et sa félicité. Puisse-t-elle jouir d'une santé inaltérable et d'une satisfaction sans bornes! Ainsi soit-il! par Jésus, fils de Marie.

Nous avons l'honneur de notifier à Votre Majesté Impériale que notre illustre prédécesseur Mohammed, Dey et Gouverneur de notre victorieuse Régence d'Alger, en exécution des décrets de la Providence qui a condamné tout être vivant à goûter le calice de la mort, a quitté en dernier lieu cette vie périssable pour passer à l'éternité, et que nous, Sidi Hassan, ci-devant Khaznadji, avons immédiatement succédé à ce Prince, — dont le tombeau soit sanctifié [1]! —

Nous devons, suivant l'usage, envoyer à la Sublime Porte des présents d'une grande valeur à l'occasion de notre heureux avènement, et nous avons à faire à Votre Majesté une demande à cet effet. Nous la prions de destiner à ce voyage le Capitaine Doumergue, qui se trouve actuellement en France, et de vouloir bien lui faire donner le vaisseau que ce navigateur désignera et le lui laisser armer comme il l'entendra. En un mot nous demandons à Votre Majesté Impériale, au nom de l'amitié qui nous unit, qu'il soit consigné au dit Capitaine un vaisseau grand et neuf, pourvu de toutes les munitions nécessaires. C'est ainsi que nous en sommes convenu avec le dit navigateur. La célérité qui sera mise à cette expédition ajoutera un grand prix au bienfait et de nouveaux motifs à notre reconnaissance [2].

1. Baba Mohammed mourut à l'âge de 81 ans, le 12 juillet 1791; il fut aussitôt remplacé par Sidi Hassan, son fils adoptif, qui ratifia nos traités le même jour, à la demande de Vallière. Voy. *État des présents faits par le sieur Vallière à l'occasion de l'avènement du nouveau Dey*, soit 7233 l. 17 s.

2. Voy. *Lettre de Vallière au Vice-Amiral Thévenard*, le 28 juillet 1791. « Le nouveau Dey m'a fait l'accueil le plus flatteur et les démonstrations les plus amicales; la jalousie des étrangers s'est alarmée déjà d'un fantôme de faveur. Mais Hassan est Algérien, impatient par conséquent, et il me sollicite journellement pour la plus grande diligence dans l'expédition du bâtiment qu'il a

LOUIS XVI

A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 16 septembre 1791.

Nous avons reçu, très illustre et magnifique Seigneur, avec une grande satisfaction la nouvelle de votre avènement à la dignité suprême de Dey d'Alger[1], et l'attention que vous avez eue de nous en informer vous-même nous a été infiniment agréable. Les rares qualités dont vous êtes orné et les sentiments d'attachement que vous montrez pour la nation française pouvaient seuls adoucir les regrets que nous a causés la perte de notre ancien ami, votre illustre prédécesseur. Votre empressement à ratifier les traités qui subsistent si heureusement entre la France et la Régence aurait suffi pour nous convaincre de la sincérité de vos désirs pour le maintien de la bonne harmonie,

demande pour son ambassade à Constantinople. » — Voy. aussi *Mémoire du capitaine Doumergue sur la demande du Dey d'un bâtiment pour Constantinople*, le 16 août 1791.

1. Voy. p. 407.

الشكل رقم : (125)

mais vous y avez ajouté de plus une marque de prédilection à laquelle nous attachons un grand prix, celle de donner la préférence à notre pavillon pour transporter à Constantinople l'Ambassadeur que vous envoyez à Sa Hautesse, afin d'obtenir son investiture [1]. M. Vallière, notre Chargé d'affaires auprès de vous que nous recommandons à vos bontés, très illustre et magnifique Seigneur, aura l'honneur de vous présenter cette lettre. Il a dû déjà vous prévenir que nous avions donné promptement les ordres nécessaires à cette expédition. Nous nous en rapportons entièrement aux détails qui vous en seront faits par notre Ministre de la Marine. Vous y reconnaîtrez qu'ils sont absolument conformes à vos vœux. Les nôtres n'auront jamais d'autre objet que la conservation de la paix et de la bonne amitié, ainsi que la gloire et la prospérité de votre Régence, et la présente n'étant à autre fin, je prie Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial des Tuileries de Paris, le 16 septembre 1791.

Louis.

تابع للشكل رقم : (125)

LE CONSEIL EXÉCUTIF PROVISOIRE DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE [1]
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 3 mai 1793.

Très illustre et magnifique Seigneur,

Les changements survenus en France exigeant que le Consul qui réside auprès de vous soit muni d'un titre émané de notre Gouvernement actuel, nous nous empressons de confirmer par la présente le citoyen Vallière dans les fonctions qu'il remplit à notre satisfaction. Nous lui donnons à cet effet l'ordre de vous présenter cette lettre, qui servira à l'accréditer de nouveau auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, relativement au service et aux intérêts du commerce et de la navigation des Français dans vos États, et principalement lorsqu'il vous assurera de toute notre estime, de l'intention sincère où nous sommes de vous en donner des marques en toute occasion, et de vous prouver par là le désir que nous avons d'entretenir la bonne harmonie qui existe si heureusement entre les deux nations.

1. Le Conseil exécutif provisoire était composé des Ministres et présidé par chacun d'eux à tour de rôle et de semaine en semaine. (Loi du 15 août 1792 relative à ses attributions.)

Sur ce nous prions Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre palais national des Tuileries, le 3 mai 1793.

Par le Conseil exécutif :

Le Ministre des Affaires étrangères,

LEBRUN [1].

LE CITOYEN BUCHOT, COMMISSAIRE DES RELATIONS EXTÉRIEURES [1],
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, le 11 fructidor an II (28 août 1794).

Très illustre et magnifique Seigneur,

Le Consul Vallière, que la République française entretient auprès de toi, nous a rendu compte en différentes occasions des dispositions amicales que tu as montrées envers la nation française. C'est ainsi que nous avons appris les facilités que tu as accordées à nos bâtiments pour l'extraction des blés de ton pays, et le prêt que tu nous as avancé pour cet objet [2]. Nous avons été également informé des ordres que tu as donnés pour faire respecter par tes marins le nouveau pavillon national [3]. Le Gouvernement de la République en a ressenti une grande satisfaction, et il se propose de t'en témoigner sa reconnaissance par une amitié inaltérable et par tous les services que tu le mettras dans le cas et que les circonstances lui permettront de te rendre. Pour t'en donner une preuve, les Représentants du peuple composant le Comité de salut public n'ont pas plus tôt été informés que tu désirais qu'il y eût à l'avenir des paquebots établis entre la France et Alger, qu'ils se sont empressés de prendre un arrêté conforme à ta demande [4], et dans peu de temps cet établissement sera formé pour l'utilité réciproque des deux pays.

Mais pour tirer un avantage réel de cet établissement, que nous avons un intérêt commun à voir réussir, il est nécessaire de prendre tous les moyens pour le garantir contre la malveillance des ennemis de la République. Nous comptons à cet égard sur tes bons offices, et nous ne doutons pas que tu ne t'empresses de faciliter, par tous les moyens qui sont en ton pouvoir, l'exécution d'un projet dont tu as conçu la première idée.

Ce qui nous fait le plus de plaisir dans la proposition que tu nous as faite, c'est de voir que le motif principal qui t'y a engagé est aussi honorable pour nous que pour toi, et qu'en t'adressant à notre Consul pour savoir la vérité touchant la grande et glorieuse guerre que nous faisons à l'Europe, tu nous as rendu la justice que nous méritons. Ce n'est sûrement pas par le canal de nos lâches et cruels ennemis que la vérité pourra te parvenir. Après nous avoir déclaré une guerre injuste, attaqué

notre indépendance, acheté nos villes par la trahison, fomenté des rebellions, violé le droit des gens, ils ne peuvent que mentir, puisqu'ils sont déjà déshonorés. La vérité sortira de la bouche de ceux qui, au milieu de tant d'ennemis, ont su résister à tous, les ont chassés du territoire de la République qu'ils avaient souillé et les ont poursuivis jusque dans le leur. Les Pyrénées et les Alpes, la Belgique et le Rhin attestent l'héroïsme et les triomphes des défenseurs de la liberté et la honte de leurs ennemis [1].

Il appartenait à des cœurs généreux comme le tien de s'intéresser en faveur de la cause qui a pour elle la raison, la justice et la gloire. Aussi sommes-nous flatté de ton amitié, jaloux de la conserver et de te donner des preuves de la nôtre. Nous désirons qu'elle soit éternelle.

BUCHOT.

1. Philibert Buchot, ancien maître d'école, puis avocat, juge au tribunal de Lons-le-Saunier, procureur général syndic du département du Jura, substitut de l'agent national Payan, Commissaire des relations extérieures du 20 germinal an II au 30 brumaire an III. Après sa destitution, il devint commis de l'octroi et enfin recenseur des ports.

2. Un décret de l'Assemblée nationale, du 9 mars 1792, avait mis dix millions à la disposition du Ministre de l'Intérieur pour être employés en achats de grains, nécessaires à un grand nombre de nos départements. Le Conseil exécutif du Directoire et le Comité d'approvisionnements de Marseille avaient donné l'ordre à Vallière de négocier avec les Algériens « la plus grande traite possible de denrées », et Hassan lui avait prêté, de la meilleure grâce du monde, 50 000 p. (250 000 f.) pour solder ses premiers achats à Bône et à Constantine. « Ce prêt, écrivit le Consul, les bonnes dispositions du Dey, le service essentiel qu'il travaille à nous rendre, l'intérêt qu'il prend à la République sont des titres sacrés à notre attachement et à notre reconnaissance que tu sauras faire apprécier, citoyen Ministre de la République. Le Consul d'Angleterre a prié ce Souverain de ne nous fournir aucun secours, mais le Dey lui a répondu en homme maître de son pays et fidèle à ses amis. » Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Deforgues*, le 10 pluviôse an II.

3. Le Dey avait remis deux passeports au Consul, pour donner plus de sécurité à nos transports de grains, et Vallière avait cru ne pouvoir mieux les confier qu'à la Compagnie d'Afrique. Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen* Deforgues, thermidor an II.

4. Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Buchot*, le 15 messidor an II.

الشكل رقم (129) ب

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
AU CITOYEN BUCHOT, COMMISSAIRE DES RELATIONS EXTÉRIEURES.

Alger, le 16 octobre 1794.

(Sceau)

HASSAN,
Dey et Gouverneur d'Alger d'Afrique.

La lettre qui suit est une dépêche amicale adressée au Vizir de la République du peuple français par Son Excellence le très fortuné Hassan Pacha, Gouverneur des pays d'Alger en Afrique, le glorieux Conseiller et le très honorable Administrateur qui modère par son génie bienfaisant les affaires de la Régence, et termine avec la plus grande prévoyance les négociations générales, — Que Dieu bénisse ses intentions! — lequel n'est cependant que la poussière des pieds du coursier victorieux de Sa Hautesse le Sultan, fils de Sultan, Sélim, fils du Sultan Mustapha, le possesseur des Empires, le conquérant de l'Arabie et de la Perse, le Souverain arbitre de la vie de ses sujets, le Maître des deux continents, l'Empereur des deux mers, l'élite des rejetons de la famille ottomane, le destructeur de l'oppression et de la tyrannie. — Que Dieu perpétue son règne et sa félicité jusqu'à la consommation des siècles! — 444

Très estimable, fidèle et sincère ami, glorieux Vizir, après nous être informé de votre santé, nous vous faisons savoir que votre lettre, datée du 11 fructidor [1], nous est parvenue il y a dix jours, et nous a été lue d'un bout à l'autre par votre Consul Y'allière, qui réside auprès de nous.

Cet officier vous avait écrit qu'il n'avait qu'à se louer de nos procédés à son égard et de notre conduite envers la nation française, et vous nous en témoignez votre satisfaction. Il s'en faut cependant de beaucoup que nous vous ayons rendu autant de services que nous l'eussions désiré. Notre espoir est qu'il se présentera par la suite plus d'occasions de vous obliger. Notre amitié est si ancienne et si bien cimentée qu'il ne surviendra jamais aucun acte qui puisse l'altérer: Nous ne nous refuserons à aucune des demandes de la République, si elle en a quelqu'une à former auprès de notre Régence et si l'objet désiré est en notre pouvoir. Des vivres et de bons chevaux : voilà nos principales productions. C'est au besoin qu'un véritable ami doit se faire connaître. Voilà nos principes. Nous sommes disposé à vous donner des grains, des comestibles de toute espèce, en un mot tout ce que vous nous demanderez, parce que nous sentons que dans la guerre générale que vous avez à soutenir contre tant de Puissances de l'Europe, il est impossible que vous n'éprouviez de la difficulté à vous procurer des subsistances et d'autres objets de première nécessité. C'est dans de semblables circonstances que nous devons déployer toute la magnani-

mité de notre caractère et l'étendue de nos sentiments. Nous pouvons vous donner ici une preuve incontestable de la solidité de ces sentiments. Les agents des Puissances belligérantes qui résident auprès de nous, se couvrant du voile de l'amitié, ne cessent de nous presser et de nous solliciter de profiter de vos embarras présents pour rompre les traités sacrés qui nous unissent à la nation française et pour lui déclarer la guerre [1], mais nous, vos fidèles et anciens amis et voisins, bien loin d'écouter ces perfides insinuations, nous écartons de notre présence quiconque ose les proférer parce que, encore une fois, c'est précisément dans les circonstances épineuses où vous vous trouvez que nous devons respecter et observer plus scrupuleusement que jamais, à votre égard, les devoirs qui nous sont imposés par le bon voisinage et par notre ancienne amitié. Nous avons appris vos victoires sur tous vos ennemis [2]. Dieu nous est témoin de la joie que nous en avons ressentie! Daigne le Ciel nous faire, vous et nous, toujours triompher de tous ceux qui veulent troubler notre repos!

465

Vous avez marqué à votre Consul que si notre Régence avait quelque chose à demander à la République française, nous n'avions qu'à prononcer. Grâce au Très-Haut, nous n'avons aucun désir à former pour nous dans cet instant, et nous serons très empressé à profiter de vos offres, lorsque l'occasion s'en présentera. Mais, en attendant, nous vous ferons une demande qui nous est personnellement relative, que vous jugerez sans doute peu considérable, et à laquelle néanmoins nous attachons le plus haut prix. Elle vous avait été déjà présentée en notre nom par l'organe de votre Consul, et nous vous la réitérons directement et avec insistance. Le négociant Meifrund, qui a longtemps résidé à Alger et qui a rendu une infinité de services à la Régence, est notre ami particulier [3]. Ce fut pour toutes ces considérations que nous nous déterminâmes à vous prier, par l'entremise du sieur Vallière, de faire obtenir au dit Meifrund et à toute

1. Le Consul d'Angleterre avait reçu l'ordre de négocier, à quelque prix que ce fût, la paix de la Régence avec le Portugal, afin de rouvrir le détroit aux corsaires qui eussent contrarié la navigation des Américains, et les eussent ainsi empêchés de continuer à porter leurs grains dans nos ports. Vallière rendit cette manœuvre inutile en faisant conclure un traité entre la Régence et les États-Unis. Voy. *Note de ce qu'il en coûte aux États-Unis d'Amérique pour obtenir la paix avec la Régence d'Alger*, soit 897 132 p. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

2. Voy. les notes 1, p. 434 et 441.

3. Voy. la note 2, p. 441.

1

الشكل رقم : (131) ب

LES REPRÉSENTANTS DU PEUPLE

COMPOSANT LE COMITÉ DE SALUT PUBLIC DE LA CONVENTION NATIONALE

A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, frimaire an III (décembre 1794).

Illustre et magnifique Seigneur,

La lettre que tu as adressée en date du 21 de la lune de Rebi-el-ewel, l'an de l'hégire 1209, au Commissaire des relations extérieures de la République [1] a été mise sous nos yeux. L'expression qu'elle contient de ton amitié pour la nation française te donne de nouveaux droits à son estime et à son affection. Ces sentiments réciproques serviront seuls de base aux transactions politiques et commerciales que le voisinage de nos pays et la nature de leurs productions doivent faire naître et rendre chaque jour plus intéressantes. Aussi la Convention nationale de France, en acceptant les offres que tu lui fais de fournir à la République des comestibles et des chevaux, donnera des ordres à ses agents afin que, dans cette négociation, il soit pris des mesures propres à concilier les intérêts respectifs des deux pays.

Nous avons vu avec satisfaction, mais sans étonnement, que la sagacité qui te distingue t'a fait facilement apercevoir les pièges des ennemis de la France et le but de leurs perfides insinuations. La victoire qui suit partout nos armées [2] ne laisse aux vaincus que les ressources du mensonge, dernier moyen qu'emploient les lâches. Le moment n'est pas éloigné où l'augmentation des

الشكل رقم : (132) أ

forces navales de la République lui procurera des triomphes aussi éclatants sur les mers que ceux qu'elle doit à la valeur de ses armées de terre, mais, quels que soient ses succès, elle se rappellera toujours avec sensibilité les services qu'elle aura reçus, dans des temps orageux, de ses amis et de ses alliés.

Quant au négociant Meifrund, à qui tu nous demandes d'accorder la faculté de rentrer sur le territoire de la République[1], le sincère désir que nous avons de t'obliger nous fera rechercher tous les moyens de concilier ce sentiment avec le respect que nous devons à nos lois.

CAMBACÉRÈS,
DELMAS,
PRIEUR,
MERLIN.

1. Sidi Hassan attachait à l'amnistie de Meifrund une telle importance qu'il avait renvoyé au Consulat de France les cadeaux que Vallière lui avait présentés. « J'ai apporté au Dey le magnifique et rare solitaire et la superbe paire de pistolets que vous m'enjoignez de lui donner. Son premier mot a été : Tous les présents du monde me touchent peu, si tu ne viens pas m'annoncer la grâce de Meifrund. » Voy. *Lettres du citoyen Vallière au Comité de salut public*, les 12 vendémiaire, 11 prairial, 27 messidor et 21 thermidor an III. — Le Dey refusa également un parasol à l'orientale que lui avait destiné l'Agence d'Afrique, substituée le 19 pluviôse an II à la Compagnie d'Afrique, et le Comité de salut public rendit un arrêté spécial, le 16 thermidor an III, affectant une destination différente au parasol en question.

1. Voy. p. 443.
2. Voy. la note 1, p. 441.
3. Voy. p. 445.

الشكل رقم : (132) ب

seulement en raison de notre navigation mêlée [illegible] mais encore de l'approvisionnement des blés et des [illegible] nécessaires à nos armées, et voilà que Sidi Hassan va au-devant de nos désirs. Il demande à Vallière de quelle façon il peut nous obliger davantage, et déclare que « c'est à un besoin que doit se faire connaître un véritable ami ». Il nous faut une première avance de 250000 francs sans intérêts pour solder nos achats de grains à Bône et à Constantine, donne à notre Consul des passeports pour nos navires, permet à nos marins de se ravitailler dans tous ses ports, prescrit à ses corsaires « d'avoir le plus grand respect pour le pavillon tricolore ». Les représentants des Puissances belligérantes ne cessent de lui demander de dénoncer nos traités, ou du moins de conserver une neutralité rigoureuse : il dédaigne leurs perfides manœuvres, et « supplie le Tout-Puissant de favoriser nos armes ». Il refuse les cadeaux que lui offre Vallière, et nous prête encore un million, pendant deux ans, sans intérêts, en s'excusant de ne pouvoir faire davantage. Aussi nos « citoyens représentants » adressent-ils à leur « ancien ami », tout en le tutoyant, les compliments les plus flatteurs, et le ministre renchérit-il encore sur leurs félicitations : « Il appartient, lui écrit-il, à des cœurs généreux comme le tien de s'intéresser en faveur de la cause qui a pour elle la raison, la justice et la gloire. Nous sommes flattés de ton amitié, jaloux de la conserver et de te donner des preuves de la nôtre; nous désirons qu'elle soit éternelle. »

Par malheur, un émigré, un traître, viendra troubler cette heureuse harmonie en 1793. Meifrund, jadis chancelier du Consulat, a été condamné pour avoir rempli à Toulon, pendant l'occupation anglaise, des fonctions municipales. Il est l'intime ami de Sidi-Hassan, et celui-ci demande vainement à la France, pour prix de ses services, la grâce de son protégé émigré auprès de lui. Le hasard veut que ce Meifrund soit en même temps le beau-frère du Consul Vallière, et les pressantes instances de ce dernier font suspecter son civisme. Le ministre Buchot, ancien maître d'école, qui va bientôt solliciter le modeste emploi d'huissier dans les bureaux de son ministère des Relations extérieures, dont il

الشكل رقم : (135)

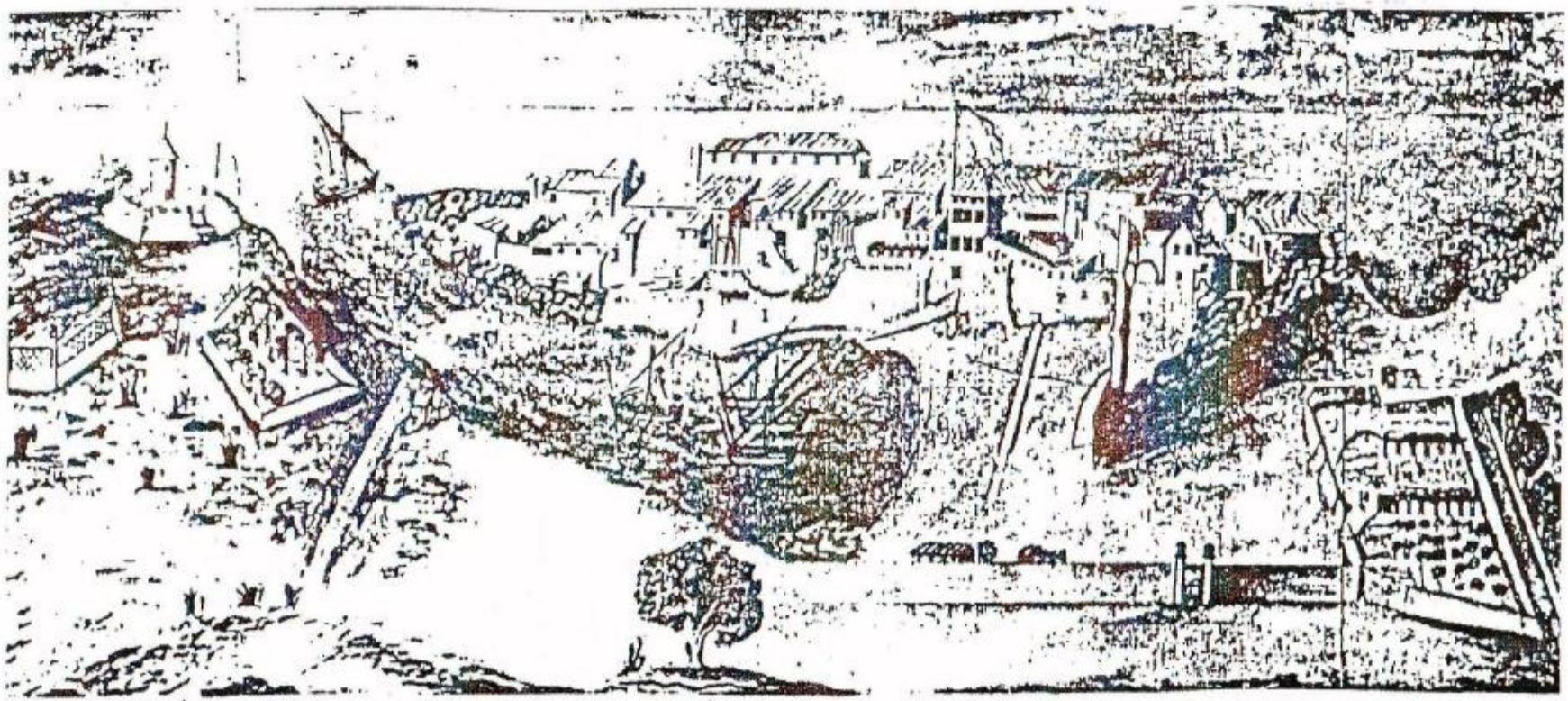

Vue de la Calle (1780)

الشكل رقم : (137)

qui s'empressait d'en profiter, des vivres, de bons chevaux, des comestibles de toute espèce, pour l'aider dans ses guerres contre l'Europe coalisée, disant dans sa lettre, adressée le 16 octobre 1794 au citoyen Bouchot, commissaire des relations extérieures: "C'est au besoin, qu'un véritable ami doit se faire connaître."

Le comité de salut public, en présence des bonnes dispositions du dey d'Alger, pour faciliter le transport des vivres achetés en Afrique et des correspondances, dut prendre un arrêté organisant un service régulier de paquebots entre la France et Alger, service dont fut chargée la compagnie d'Afrique le 28 août 1794.

Un décret de la convention nationale du 27 pluviose an II, avait changé le pavillon français, modifiant les dispositions du 31 octobre 1790, qui reléguaient dans un coin les couleurs nationales.

« Le pavillon national sera formé », dit ce décret, « des « trois couleurs nationales disposées en trois bandes égales, « posées verticalement, de manière que le bleu soit attaché « à la gaule, le blanc au milieu, le rouge flottant dans les « airs. » Deforgues, ministre des affaires étrangères de la République, notifiait ce changement de disposition du pavillon français, dans sa dépêche au dey Hassan du 24 mars 1794 (18 germinal an II).

Le Portugal étant toujours en guerre avec Alger, le consul d'Angleterre avec reçu de son gouvernement l'ordre de négocier à quelque prix que ce fut la paix entre la régence et le Portugal, afin de voir rouvrir le détroit aux corsaires qui eussent contrarié la navigation des Américains, les empêchant ainsi de continuer à porter leurs grains dans les ports français. Le consul Vallière rendit cette manœuvre inutile en faisant conclure un traité entre la régence et les Etats-Unis.

En mars 1795, des frégates espagnoles ayant capturé un navire français dans les eaux d'Alger, Hassan fit sortir immédiatement douze canonnières, qui reprenant le navire de force, exigèrent la restitution de son équipage transbordé retenu prisonnier.

Joseph Bacri et Nephtali Busnach, fournisseurs du gouvernement français. — Un nommé Joseph Bou-Kris, juif d'origine algérienne, établi à Livourne, où il avait italianisé

الشكل رقم : (139)

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
À SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, frimaire an IV (décembre 1795).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris avec peine que vous aviez suspendu l'exportation qui favorisait nos approvisionnements [1]. L'ancienne amitié qui nous unit à vous nous est trop précieuse pour négliger de rechercher la cause qui l'avait altérée; nous l'avons trouvée dans la conduite du citoyen Vallière. Il a trahi notre confiance, il a abusé de la vôtre. Nous l'avons rappelé. Le citoyen Jeanbon Saint-André, qui résidera désormais auprès de vous, était ci-devant Représentant du peuple français à la Convention nationale [2]. C'est le même qui, dans sa mission à Toulon, protégea par le développement de nos forces maritimes le transport du numéraire qui servit au payement du blé que nous achetions en Barbarie. Son caractère personnel et les fonctions éminentes qu'il a remplies nous l'ont fait préférer entre tous. Il a reçu nos ordres relativement aux diverses réclamations que vous nous avez adressées. La justice le caractérise, et si le citoyen Vallière n'eût pas caché ceux que nous lui avions donnés et les motifs qui les déterminèrent, aucune discussion ne se serait élevée entre nous. Le citoyen Jeanbon Saint-André les terminera sans doute. Il réclamera de notre part et en notre faveur la libre exportation des grains [1]. Nous savons que la bonne intelligence entre les nations est le résultat du commerce continuel de bons offices, et vous recevrez de nous tous ceux qu'il ne nous sera pas impossible d'accorder. Désormais des rapports plus avantageux et des communications plus fréquentes doivent s'établir entre nous. La victoire qui fonde la République française et qui étend son domaine lui donne chaque jour de nouveaux droits à la consi-

الشكل رقم : (141)

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, prairial an IV (juin 1796).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le négociant Jacob Cohen Bacri, chargé de vos commissions à Marseille, nous a fait parvenir votre lettre en date du 12 juillet 1795 [1]. Nous y avons vu avec plaisir l'expression sincère de votre amitié et de votre reconnaissance pour l'accueil que ce négociant a reçu depuis son arrivée en France. Soyez persuadé qu'il n'aura qu'à se louer également des bons procédés qu'on continuera d'avoir pour lui comme pour tous ceux que vous nous recommanderez, et que nous ne laisserons échapper aucune occasion de resserrer de plus en plus les liens de cette ancienne amitié, qui subsiste et subsistera toujours entre les deux nations.

Nous ne voulons point finir cette lettre sans vous dire combien nous avons été satisfaits nous-mêmes d'apprendre la réception favorable que vous avez faite au citoyen Herculais, Envoyé de la République auprès de vous [2]. Il nous a rendu un compte détaillé des marques d'intérêt et de bienveillance que vous lui avez témoignées, et nous ne doutons point qu'il ne continue à mériter votre confiance; nous vous invitons à la lui accorder. Il nous a en même temps fait connaître toute l'indignation que vous a causée l'outrage qu'ont commis les Anglais, en enlevant deux bâtiments de guerre français qui étaient mouillés dans la rade de La Goulette [3]; nous ne vous dissimulons pas que cette perfidie infâme rejaillit particulièrement sur le Bey de Tunis qui, malgré les avis qu'on lui a donnés, a laissé violer d'une manière aussi audacieuse l'asile assuré que nos bâtiments devaient trouver dans ses ports contre les entreprises de nos ennemis. Vous avez si bien senti cette vérité que vous vous êtes empressé de prendre toutes les mesures convenables pour contraindre le Bey à une réparation complète envers la République; nous vous en savons infiniment de gré, et nous sommes persuadés qu'au moyen de votre crédit et de votre influence vous parviendrez à obtenir cette réparation due à la nation française, et devenue

الشكل رقم : (142)

d'ailleurs indispensable pour l'honneur des Puissances musulmanes dont il vous importe de maintenir la considération. Nous nous en reposons donc entièrement sur vous du soin de terminer cette affaire à notre entière satisfaction. Nous avons été extrêmement sensibles aux offres pécuniaires que vous avez faites au citoyen Herculais; elles ont excité toute notre reconnaissance, et nous les avons regardées comme une nouvelle preuve de votre attachement et de votre intérêt pour la République. En conséquence, nous chargeons notre Envoyé d'en conférer avec vous conformément aux instructions que nous lui adressons [1]. Vous pourrez ajouter une entière confiance à tout ce qu'il vous dira sur ce point, et compter que les engagements qu'il pourra contracter en notre nom seront remplis avec toute l'exactitude et la loyauté qui caractérisent la nation française, que vous devez mettre au nombre de vos plus sincères et fidèles amis. Vous ajouterez par là de nouveaux droits à sa reconnaissance.

Sur ce nous faisons des vœux, illustre et magnifique Seigneur, pour votre parfait bonheur et la prospérité des États que vous gouvernez.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

De Lacroix

1. Si la Régence se vantait de nous rendre des services avec ses fournitures de grains, il est bon de remarquer qu'elle vendait à l'Agence d'Afrique, au prix de 45 piastres, la charge de blé que les étrangers ne payaient que 38 piastres.

1. Voy. p. 451.

2. Voy. la note 2, p. 441.

3. Voy. *Lettres des citoyens Vallière et Herculais au citoyen de La.. oix*, ies 11 et 24 germinal an IV. Notre Consul informait le Ministre de cette violation de territoire neutre que s'étaient permis les Anglais, en enlevant nos corvettes *La Sardine*, *La Némésis* et le brick *Le Postillon* dans la rade de La Goulette. Il était allé se plaindre au palais de la Jenina de cet acte de perfidie, et le Dey lui avait déclaré « qu'il se chargeait de faire payer au Bey de Tunis la valeur de nos bâtiments, estimant le dommage à 242 000 piastres ».

1. Voy. *Lettre du citoyen de Lucroix au citoyen Herculais*, le 16 prairial an IV. Les Bacri, malgré les avances qu'ils avaient faites à la République, offraient encore au Directoire 40 000 quintaux de grains emmagasinés à Marseille. Le Gouvernement manquait d'argent pour payer même un acompte, et faisait tous ses efforts pour obtenir du Dey le prêt d'un million de piastres (5 000 000 de fr.).

الشكل رقم : (142) ب

قائمة المراجع

قائمـــــــــــة البيبليوغرافيـــــا :

أ) المصـــــــادر :

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، (د،ط)، بيروت.

2- مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1766 – 1791)، تحقيق : أحمد توفيق المدني، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، (د،ط)، 2010م، الجزائر

3- مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة : محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، (د،ط)، 2011م الجزائر .

4- مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م – 1824م)، تعريب وتعليق : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د،ط)، 1982م، الجزائر .

ب) المراجـــــــع بالعربية :

5- أبو علية حسن عبد الفتاح وياغي إسماعيل، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، (د،ط) 1979م، السعودية .

6- الترعزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د،ط)، 1989م، بيروت .

7- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، 2007م، الجزائر .

8- / ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، (د،ط)، 1999م، الجزائر .

9- / ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500- 1830، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م، الجزائر .

10- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1981م، الجزائر .

11- براهامي نصر الدين، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، (د،ط)، 2010م، الجزائر .

12- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، 1982م، الجزائر .

13- / ،تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثالثة، الجزء الثالث، 1982م، الجزائر.

14- الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق عبد الله، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د،ط)، 2000م، القاهرة .

15- جرانت.أ. و تمبدلي هارولد، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789 – 1950)، مسسة سجل العرب، ترجمة : بهاء فهمي، (د،ط)، الجزء الأول، (د،ت)، القاهرة .

16- جرداق جورج، بين علي والثورة الفرنسية، منشورات دار مكتبة الحياة، (د،ط)، المجلد الثاني، 1970م، لبنـــان .

17- دوفال البير، الريس حميدو، تعريب : محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للطباعة،(د،ط)،(د،ت)، الجزائر .

18- ديورانت.ول، قصة الحضارة عصر لويس الرابع عشر، ترجمة فؤاد أندراوس، الجزء الأول، المجلد الثامن، 1979م، القاهرة .

19- دسوقي ناهد إبراهيم، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د،ط)، 2011م، (د،م) .

20- درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر، (د،ط)، 2007م، الجزائر .

21- هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، (د،ط)، 2007م، الجزائر

22- وولف جون –ب-، الجزائر وأوروبا (1500م – 1830م)، ترجمة : أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، الجزائر .

23- طنوس إلياس الحويك، تاريخ نابليون الأول، دار العلم للملايين، (د،ط)، 1970م، بيروت.

24- يوسف سي محمد، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د،ط)، 2009م، الجزائر .

25- كاردياك لوي، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة : عبد الجليل التميمي، الطبعة الثانية، 1989م، (د،م) .

26- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492م- 1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1976م، الجزائر .

27- مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، (د،ط)، 1992م، (د،م) .

28- محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم، التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، (د،ط)، (د،ت)، مصر.

29- مروش لمنور، القرصنة الأساطير والواقع دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصبة للنشر، 2009م، (د،ط)، الجزائر .

30- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، دار الأمة، طبعة خاصة، الجزء الأول، 2008م، الجزائر .

31- / ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، دار الأمة، طبعة خاصة، الجزء الثاني، 2008م، الجزائر .

32- / ، أنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، (د،ط)، 1975م، الجزائر .
33- سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب : عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، (د،ط)، (د،ت)، (د،م) .
34- سوبول ألبير، تاريخ الثورة الفرنسية، ترجمة : جورج كوسى، منشورات عويدات، الطبعة الرابعة، 1989م، بيروت .
35- سعيدوني نصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الطبعة الثانية، (د،ت)، الجزائر .
36- / ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792م- 1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، الجزائر .
37- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، (1514م – 1830م)، دار هومة، الطبعة الثانية، 2007م، الجزائر.
العسلي بسام، خير الدين بربروس، الطبعة الثانية، 1983م، بيروت.
38- العقاد صلاح، تاريخ المغرب العربي، (د،ط)، 1962م، القاهرة .
39- العربي إسماعيل، العلاقات الدبيلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776م – 1816م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د،ط)، 1978م، الجزائر
40- الصلابي محمد علي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، شركة الأمل للتجهيزات الفنية ، ط1، مصر، 2001م
41- فرانسوا فوزي، الثورة الفرنسية في مواجهة الفكر، منشورات وزارة الثقافة، (د،ط)، ترجمة : رباب العابد، 1999م، دمشق .
42- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م – 1830م)، طبعة خاصة، 2007م، (د،م) .
43- / ، مظاهر من تطور أوروبا في القرن الثامن عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د،ط)، 1984م، الجزائر .
44- / ، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790م – 1830م)، منشورات متحف المجاهد، طبعة خاصة، (د،ت)، (د،م) .
45- / ، معاهدات الجزائر مع فرنسا، منشورات وزارة المجاهدين، (د،ط)، المجلد الأول، 2009م، (د،م) .
46- / ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، الجزائر .
47- راشد زينب عصمت، تاريخ أوربا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، (د،ط)، (د،ت)، القاهرة .
48- الشناوي عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناشيونال، (د،ط)، 1983م، القاهرة.

49- خلاصي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، (د،ط)، 2007م، الجزائر .
50- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، سلسلة المشاريع منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

المقـــــــالات :

51- 1/ جون.ب. وولف، رياس البحر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، السنة الثانية، 1987م، الجزائر .
52- 2/ عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، العدد السادس، 1976م.

الموسوعات والمعاجم :

53- جاسر محمد عبد الغني، موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات عن التاريخ، دار البرهان، (د،ط)، 2005م، القاهرة .
54- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة، 2000م، الرياض .

المراجع باللغة الأجنبيـــــــة :

55- Belhmissi moulay , Marine et marins d'Alger (1518- 1830) , Tome I, Bibliothéque nationale d'Algerie, 1996, Alger .
56- / , Marine et marins d'Alger (1518- 1830), Tome II ,Bibliothéque bationale d'Algerie , 1996, Alger .
57- Julien charle André , Histoire de L'afrique du nord de la conquéte arabe a 1830 , 2éme Edition sned , 1978 , Alger .

De Grammont Henri , Histoire d'Alger sous la domination turque (1515- 1830) , 1887, Paris .

الفهرس

فهرس المحتوى ------------------------------------

رقم	المحتـــــــــــوى

شكر وعرفان

إهـــــداء

قائمة المختصرات

مقدمـــة

فصل تمهيدي

I)- أوضاع المغرب الأوسط من أواخر القرن 15 م إلى دخول العثمانيين 10

II)- الاستنجاد بالعثمانيين 15

III)- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 18

الفصل الأول : البحرية الجزائرية و دورها الداخلي و مكانتها الدولية

I)- نشأة البحرية الجزائرية . 21

II)- مقومات البحرية " مكونات " 23

III)- دور البحرية داخليا 38

IV)- مكانة البحرية الدولية 42

الفصل الثاني : قيام الثورة الفرنسية 1789 م ونتائجها

I)- الأوضاع العامة في فرنسا قبل قيام الثورة 52

II)- قيام الثورة الفرنسية 63

III)- نتائج الثورة الفرنسية 73

الفصل الثالث : دور البحرية في فك الحصار المفروض على فرنسا

I)- التحالف الأوربي و فرض الحصار 81

II)- فرنسا تستنجد بالأسطول الجزائري قبل الثورة 83

III)- العلاقات الجزائرية الفرنسية واستنجاد فرنسا بالجزائر بعد الثورة 85

IV)- دور البحرية في نجدة فرنسا 90

الخاتمة 100

الملاحق

ملحق I صور للأسطول الجزائري

ملحق II خارطة مقاومة أوربا للثورة الفرنسية

ملحق III أهم الاتفاقيات و المعاهدة بين الجزائر و فرنسا

قائمة المراجع